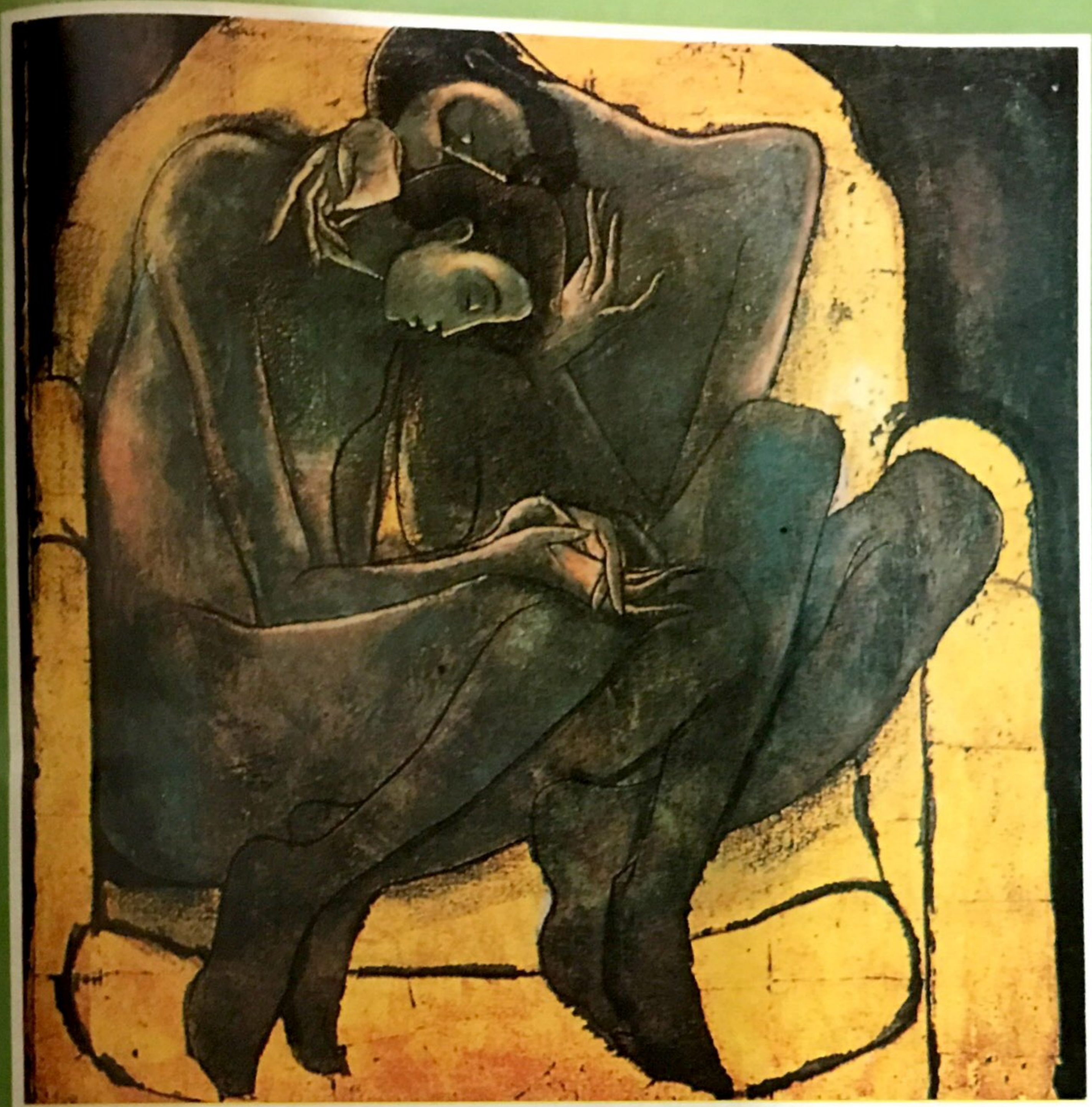
،الهدف، تحاور الفنان التشكيلي عز الدين شموط

سياسية عربية
كل الحقيقة للجماهير
AL HADAF
الهدف



لماذا لايعترف اصحاب اوسلو بفشل سياساتهم؟!





لوحة من اعمال الفنان التشكيلي صفوان داحول



الهدف AL-HADAF

«الهدف» ٩ آب ١٩٩٨ - العدد ١٢٨٤
السنة الثامنة والعشرون - الثمن ٣٠ ل س/ ١٠٠٠ ل ل
AL - HADAF - No. 1284 - 9/8/1998

سياسية عربية ـ تصدر مؤقتاً كل أسبوعين

ثمن النسخة

لبنان ١٠٠٠ ل.ل/ سوريا ٣٠ ل.س/ الاردن ٥٠٠ فلس/ العراق ١٠ د.ع/ الإمارات ١٠ درهم/ الجزائر ١٥ دينار/ ليبيا دينار واحد/ تونس ١,٢٥ دينار/ صنعاء ١٥٠ ريالاً/ السودان ٦ جنيهات/ المغرب ١١ درهماً/ أمريكا وكندا ٣ دولارات/ ألمانيا ٥ ماركات/ أسبانيا ٣٠٠ بيزيته.

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوي بما فيها اجور البريد.
سوريا ٦٠٠ ل.س/ لبنان والأردن ٣٠ دولارا/ بقية الدول العربية ٥٠ دولارا/ أوروبا ١٢٥ دولارا/ آسيا وافريقيا ١٠٠ دولارا/ الامريكتين. واستراليا ١٥٠ دولارا.
☆ يتم الاشتراك بارسال اشعار الايداع بقيمة الاشتراك السنوي (أو نصف السنوي) على العنوان التالي: بنك بيروت والبلاد العربية.
شتورا ـ لبنان.
رقم الحساب AC.NO.220094
☆ أو بارسال شيك بنكي باسم «الهدف» دمشق/ ص.ب ٣٠١٩٢

المكاتب

المقر الرئيسي: دمشق - مخيم اليرموك
هاتف: ٦٣٢٨٢٦٧
٦٣١٩٣٧٤
فاكس: ٦٣٢٥٤٨٦
٣٣٢٩٣٢٦
ص.ب: دمشق - ٣٠١٩٢
عمان: ٦٩٦٣٤٠
الجزائر: ٥٩٤٥٤٨
٣٨٤٣٠٤
بغداد: ٧١٩١٦٢٢
٧١٧٤٧١٠

كلمة

في هذا الزمن الرديء الذي نعيشه، لا يبدو أنه ثمة قاع للانحطاط.. ما إن تستقر أمتنا في هاوية وتظن أنه بات بإمكانها أن تلتقط أنفاسها وتبدأ بالصعود، حتى تجد الأرض تميد بها من جديد، لتبدأ رحلة هبوط جديدة لقاع آخر... وهكذا... درك يقذفنا لآخر..

انظروا لهذه اللوحة العربية المخيفة: العراق يفتك به الحصار الذي دخل عامه التاسع ويومياً يدفن العشرات من أطفاله وشيوخه الذين يقضون لنقص الغذاء والدواء، ويبدو أن الأمور هناك تتجه لأزمة جديدة يهيئها ريتشارد بتلر الذي يريد أن يتصرف كمفوض سام دون أن يكون للعراقيين الحق في أي اعتراض.

ليبيا أيضاً محاصرة والمصيبة انه تبين قبل أشهر أن مجلس الأمن الدولي المدفوع بالجموح الأمريكي ـ البريطاني لم يكن له الحق في اتخاذ قراره بفرض العقوبات، قبل أن تنظر محكمة العدل الدولية في الأمر..

السودان يصارع المجاعة التي تهدد مئات الآلاف من أبنائه، والأدهى من ذلك أن الحرب الأهلية مازالت مستعرة، وبلغ جيرانه من الجرأة ان يتحرشوا به ويعتدوا عليه دون أن يقيموا أي اعتبار للأمة العربية.

الصومال مازال مفككاً جائعاً، والمفارقة أن اثيوبيا وارتيريا غضبتا من مصر حين طرحت مبادرتها مؤخراً لانجاز مصالحة وطنية بين الفرقاء الصوماليين.

أسعار النفط تتراجع وتبلغ العشرة دولارات، فتجد دول الخليج نفسها في مأزق يعصر ميزانياتها، لكنها لا تبلغ من الشجاعة ما يجعلها تجمّد (على الأقل تجمّد) صفقات السلاح التي تفرضها عليها واشنطن بحكم «المحبة».

فلسطين.. حدث ولا حرج... كل الأطراف القريبة والبعيدة تقول أن عملية السلام ماتت، وحدها القيادة الفلسطينية الرسمية مازالت على تفاؤلها البائس تراهن على دور أمريكي يعيد الحياة لأوسلو الذي لفظ أنفاسه منذ فترة..

القدس تفلت من بين الأصابع وتهدم البيوت العربية يومياً، ويطرد المقدسيون من بيوتهم.. فتجتمع لجنة القدس فلا تجد ما تفعله سوى تبني قرارات طالما تكررت لكنها لا تجد أبداً طريقها للتنفيذ...

هذا هو الواقع العربي الآن... صور أشبه بمقتطفات من أفلام رعب.. والسؤال يبرز من جديد: هل وصلنا قاع الهاوية؟ وإلى متى نظل كذلك؟ ■■

موضوع الغلاف:



لماذا لايعترف
أصحاب أوسلو
بفشل سياساتهم؟

صفحة ٦

في هذا العدد

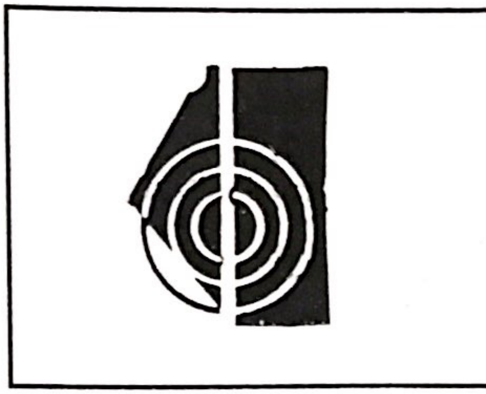
شؤون فلسطينية

شؤون عربية

شؤون العدو

شؤون دولية

الهدف الثقافي



لماذا لايعترف أصحاب أوسلو بفشــل سياستهم؟

في شهر أيلول القادم، يدخل اتفاق أوسلو عامه السادس وفي عودة إلى تلك الأيام نتذكر الحملة الإعلامية الواسعة النطاق التي رافقت عملية التوقيع، والتي حاولت تزوير الحقائق وخداع الشعب الفلسطيني والعربي عندما حاول مروجو أوسلو تصوير الإتفاق بأنه سيشكل النواة الصلبة وبداية الطريق نحو الولوج لبناء الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس.

نجحت الحملة الإعلامية في خداع قطاعات شعبية رغم تحذير القوىالوطنية الفلسطينية والعربية من المخاطر الكارثيةالناجمة عن السياسة الرسمية الفلسطينية التي انفردت بالحل وراهنت على الولايات المتحدة الأمريكية ضاربة عرض الحائط بالأبعاد العربية والإسلامية والدولية للقضية الفلسطينية، حيث وضعت أوراقها بالكامل في السلة الإسرائيلية الأميركية مراهنة على أن هذا هو الطريق العملي الذي يمكن أن يؤدي إلى انتزاع الحقوق الفلسطينية.

واليوم، ومع اقتراب دخول اتفاق أوسلو عامه السادس أصبح واضحاً للقاصي والداني أن هذا الإتفاق لم يكن بالنسبة لإسرائيل سوى محطة على طريق تجسيد أهداف مشروعها الصهيوني القائم على استمرار الإحتلال وتحقيق المزيد من الإستيطان والتهويد والتوسع، حيث أشارت بعض الإحصائيات الإسرائيلية الأخيرة أن وتيرة البناء في مستوطنات الضفة وقطاع غزة زادت بنسبة ١٣٠٪ خلال الأشهر الأربعة الأولى من العام الحالي مقارنة بالفترة نفسها من العام الماضي.

إن اسرائيل لم تنظر لإتفاق أوسلو سوى مرحلة لتحقيق المزيد من التوسع والإستفراد بالطرف الفلسطيني وإحداث اختراقات نوعية في الجسم العربي.

بعد سقوط حكومة حزب العمل وصعود نتنياهو للسلطة فإن حكومة الليكود مارست سياسة الحصول على المزيد من التنازلات والرضوخ من الجانب الفلسطيني ونجحت في ذلك. ففي الوقت الذي تم فيه تجميد ما يسمى بعملية السلام على المسار السوري ـ اللبناني بصورة كاملة، فإن نتنياهو يواصل سياسة المناورة وكسب الوقت وفرض الوقائع والحقائق على الأرض الفلسطينية عملاً بنظرية اسحاق شامير الذي قال ذات يوم أنه كان سيفاوض الفلسطينيين بعد مؤتمر مدريد لمدة عشر سنوات دون أن يقدم لهم شيئاً، ومع ذلك ورغم اتضاح الحقائق فإن السلطة الفلسطينية تواصل مفاوضاتها مع إسرائيل.

من الملفت للنظر والإستغراب أن الغالبيةالساحقة لدول العالم باتت تتحدث عن موت عملية السلام بما في ذلك أوساط في الإدارة الأمريكية وأوروبا والشعب الفلسطيني بأسره والأمة العربية وحتى إسرائيل ذاتها ومع ذلك فإن السلطة الفلسطينية

تتحدث ليل نهار عن حماية عملية السلام والحفاظ عليها ماضية في سياستها بتقديم التنازلات والعودة للمفاوضات رغم تهديداتها المتكررة بوقف المباحثات مع إسرائيل ما لم تعلن التزامها بالمبادرة الأمريكية، هذه المبادرة التي يحاولون تقديمها اليوم للشعب الفلسطيني وكأنها إنجاز عظيم، وهي في حقيقة الأمر ليست سوى مجموعة من الأفكار الإسرائيلية بالأساس لأن اتفاقات أوسلو كانت تقضي بإعادة الإنتشار بنسبة تزيد عن ٣٠٪ وعلى ضوء تراجع اسرائيل تنازلت السلطة الفلسطينية وقبلت بنسبة ٢٥٪ متراجعة حتى عن اتفاقها المذل وعندها قدمت إسرائيل مقترحاتها للإدارة الأمريكية معتقدة أن الجانب الفلسطيني لن يقبل نسبة الـ ١٣٪ وعندما قبل عرفات هذا التنازل الجديد عادت وتحدثت عن نسبة الـ ٩٪ والـ ١٠٪ ونسبة المحميات الطبيعية وربطت تنفيذ ذلك على مراحل وبسلسلة من الشروط في كل مرحلة منها منع التحريض ضد الإحتلال بما في ذلك داخل المساجد وإلغاء الميثاق الوطني الفلسطيني مرة أخرى وتسليم قائمة من المناضلين الفلسطينيين لقوى الأمن الإسرائيلية ومحاربة وقمع القوى الوطنيةالمناهضة لإتفاقات أوسلو الخ.. من سلسلة طويلة عريضة من المطالب التي لاحدود لها أي أن إسرائيل ووفق لعبة النسب والكيلومترات والحارات والزواريب باتت تدير اللعبة بالكامل وفق سقفها وشروطها ومعاييرها.

ومع ذلك، ورغم كل ذلك، فإن السلطة الفلسطينية ماضية في سياستها المدمرة رافضة الإقرار والإعتراف بفشل خيارها السياسي ووصوله إلى الطريق المسدود. والسؤال الجوهري الذي يحتاج إلى جواب والمطروح بقوة في الشارع الفلسطيني والعربي هو: لماذا لايعترف أصحاب أوسلو بفشل خيارهم رغم كل الحقائق الدامغة التي لم تعد تحتاج إلى جدال طويل ويعاندون الواقع؟ ولماذا يرفضون إجراء أية مراجعة سياسية لمسيرتهم خلال السنوات الماضية؟

ولماذا لايتجاوبون مع دعوات الحوار الوطني الشامل الذي يعيد الأمور في الساحة الفلسطينية إلى قاعدة التصدي للاحتلال وإعادة الإعتبار لمنظمة التحرير الفلسطينية وبرنامجها الوطني وإعادة بناء مؤسساتها على أسس ديمقراطية لإستنهاض الشعب الفلسطيني وطاقاته الكفاحية لبلورة موقف عربي فاعل يستند لرؤية وموقف فلسطيني واضح وصلب؟

يقولون في أوساط السلطة الفلسطينية ما هو البديل؟ وماذا يمكن أن نفعل، وهل تريدوننا أن نتحمل أمام الإدارة الأمريكية مسؤولية فشل عملية السلام؟

ويقولون لماذا لانحشر نتنياهو في زاوية ضيقة ونكسب الولايات المتحدة الأمريكية التي لن تبقى مكتوفة الأيدي إلى مالانهاية.

إن مثل هذه المقولات لم تعد تنطلي على أحد وهي لاتستهدف سوى التضليل والخداع ولوي عنق الحقائق لأن السلطة الفلسطينية تدرك تماماً حقيقة الموقف لكنها وانطلاقاً من مصالح ناشئة لاتريد العودة إلى خيار الشعب، خيار المواجهة والتصدي للإحتلال والخروج من مجرى التنازلات والتمسك بالخيارات الوطنية والسبب الجوهري باعتقادنا يعود إلى أن هذه القيادة قد حشرت نفسها ضمن إطار خيار يستسهل الرضوخ ويرفض دفع استحقاقات البديل الوطني لأن هذا البديل بات يتعارض مع المصالح الطبقية الضيقة لهذه السلطة ولو كان ذلك على حساب الشعب وقضيته الوطنية وحقوقه الثابتة.

لقد باتت حساباتهم تنطلق من مصالح محددة يرغبون في الحفاظ عليها مهما كان الثمن ولايبدو أن هناك ثمة قاعاً لتنازلاتهم والتي وصلت إلى الهاوية.

إن حديثهم عن حماية عملية السلام لم يعد له سوى معنى واحد يتمثل بحماية مصالح محددة لأن الجميع يدرك أنه لايوجد عملية سلام حقيقية عادلة ينبغي حمايتها، بل يوجد عملية استسلام واستيطان وتهويد ينبغي مواجهتها والتصدي لها.

عندما تتخذ إسرائيل قراراً برفض الإنسحاب من الجولان وإخضاع هذا الأمر لإستفتاء وكأن اراضي الأخرين وحقوقهم يقررها الناخب الإسرائيلي، وعندما تواصل اعتداءاتها العسكرية على الشعب اللبناني، وعندما تستمر بتوسيع الإستيطان وهدم البيوت وتهويد القدس، فأي سلام هذا الذي يتحدثون عن التمسك به؟ وهل مثل هذا السلام يحتاج إلى حماية؟

في مقابلة لصحيفة بريطانية مع رئيس وزراء اسرائيل قبل حوالي أسبوعين ولدى إجابته على سؤال حول احتمال أن تمارس أوروبا ضغوطاً اقتصادية على الحكومة الإسرائيلية لحملها على الإلتزام بالعملية السياسية أجاب نتنياهو قائلاً: «إذا كانت أوروبا نابهة فهي لن تمارس مثل هذا الضغط لأن عليها أن تعلم أن مداخيل إسرائيل الإقتصادية تعادل ٤٠٪ من مداخيل مجموع الدول العربية وستصل هذه المداخيل على حد قوله بعد عشرة أعوام أو خمسة عشر عاماً إلى نسبة ٨٠٪.

إن المشروع الصهيوني في المنطقة يتناقض جذرياً مع مفاهيم السلام العادل وقرارات الشرعية الدولية، وهو يملك تصوراً «لسلام زائف» يقوم على جثة الشعب الفلسطيني ومصالح الأمة العربية ومستقبلها، فهل نواجه هذه الحقيقة ونصوغ استراتيجية واضحة للمجابهة لحماية حقوقنا ومصالحنا أم نستمر في السعي وراء الأوهام ■■

بيان صحفي صادر عن المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

عقد المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين اجتماعاً يوم الحادي عشر من تموز، تناول خلاله الأوضاع السياسية على الساحة الفلسطينية مؤكداً على مايلي:

أولاً:

باتت اللعبة الأمريكية الاسرائيلية برسم سيناريو اعادة الانتشار من الأراضي الفلسطينية المحتلة لعبة مكشوفة مما يستوجب من كل الوطنين رفض المقترحات الأمريكية والتي يجري تصويرها بصورة مخادعة وكأنها انجاز كبير سيتم تحقيقه للشعب الفلسطيني، وهي في الواقع ليست سوى مقترحات اسرائيلية تم التشاور بشأنها مع الادارة الأمريكية لتسويقها بعد أخذ ورد ومماطلة وكأنها «تنازل» من اسرائيل.

ان هذه المقترحات باعادة الانتشار والتي وافقت عليها سلطة الحكم الذاتي لا تمثل سوى تنازل فلسطيني جديد حتى عن اتفاقات أوسلو المذلة. ولذلك فإن حقيقة ما يجري هو محاولة انتزاع اعتراف واقرار بابتلاع الأراضي الفلسطينية المحتلة وليس الانسحاب منها، وربط اعادة الانتشار بسلسلة من الشروط المطلوب تنفيذها، والتي تبدأ بشن حملة ضد القوى الوطنية الفلسطينية المناهضة لاتفاقات أوسلو لتصفية ما يسمونه بالبنية التحتية «لمنظمات الارهاب» وتسليم منفذي العمليات العسكرية وايقاف أي تحريض ضد الاحتلال. وبالتالي ستسعى السلطة لتسويق قبولها بالمقترحات الأمريكية، والاستجابة الاسرائيلية، وكأنه انتصار، وهو في الجوهر توغل أكثر في التفريط بالقضية الوطنية للشعب الفلسطيني.

ثانياً:

أكد المكتب السياسي أن حماية مدينة القدس وانقاذها من التهويد الكامل لن يتم فقط ببيانات الادانة والاستنكار، لأن السياسات القائمة حالياً سواء على المستوى الرسمي الفلسطيني أو العربي لن توقف الزحف الاستيطاني الصهيوني ما لم يتم اتخاذ مواقف عملية واضحة، ورسم استراتيجية عمل محددة تعيد النظر بسياسة المراهنة على الادارة الأمريكية وانتظار مبادراتها وأوهام ممارساتها للضغط على اسرائيل.

ان المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين يدعو إلى اتخاذ مواقف جادة وملموسة لايقاف التطبيع ووقف المفاوضات وسحب السفراء الصهاينة من العواصم العربية التي تقيم علاقات دبلوماسية مع اسرائيل لان هذا هو الحد الأدنى للرد على سياسة الغطرسة والعدوان.

ثالثاً:

إن الخروج من المأزق الخطير والمتفاقم الذي يعيشه الوضع الفلسطيني لن تتم معالجته إلا ببلورة موقف فلسطيني يعيد الاعتبار للذات الوطنية ويعيد النظر بصورة جذرية بالخط السياسي المدمر الذي جسدته اتفاقات أوسلو والذي أدى إلى نتائج كارثية على الشعب الفلسطيني وبالتالي فإن استنهاض طاقات الشعب وحماية حقوقه الوطنية طريقهما واضح يتمثل باعادة الاعتبار للبرنامج الوطني لمنظمة التحرير الفلسطينية وميثاقها وبناء مؤسساتها على أسس ديمقراطية، وذلك من خلال دور وطني شعبي مباشر في التصدي للاحتلال، وسياسة التنازلات التي تقوم بها سلطة الحكم الذاتي، لأن استمرار هذه السياسة يلحق أفدح الأضرار بقضية الشعب والوطن.

رابعاً:

ان المكتب السياسي يجدد دعوته لعقد قمة مصالحة عربية ـ عربية شاملة لبلورة موقف سياسي حازم لمواجهة المخاطر القائمة، لأن المطلوب اليوم ليس عقد قمة عربية تمنح التأييد للمبادرة الأمريكية وتغطية سياسات التنازل والاستسلام، بل المطلوب قمة عربية للمواجهة والتصدي لسياسة الاستيطان والاحتلال واغتصاب الأرض والحقوق.

المكتب السياسي
٩٨/٧/١٣

تصريح صحفي

تعقيباً على نتائج المفاوضات بين السلطة الفلسطينية واسرائيل أدلى الناطق الرسمي باسم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بتصريح قال فيه:

مرة أخرى تقدم السلطة الفلسطينية تنازلات جديدة بالعودة إلى المفاوضات في ظل استمرار الاستيطان وتهويد مدينة القدس، وهي التي كانت قد أعلنت عبر أكثر من بيان أنها لن تعود للمفاوضات. لكنها رضخت من جديد لضغوط الولايات المتحدة.

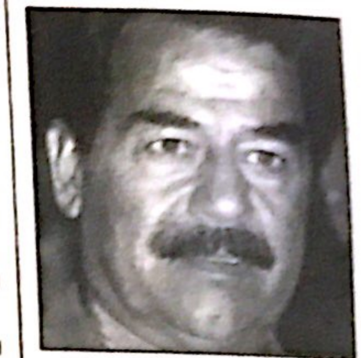
ان الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين تؤكد ان استمرار المفاوضات لم يعد يخدم سوى اسرائيل وسياستها التوسعية ولن يؤدي إلا إلى المزيد من التفريط بالحقوق الوطنية الفلسطينية.

اننا ندعو إلى ايقاف مهزلة المفاوضات واعادة الاعتبار للبرنامج الوطني لمنظمة التحرير الفلسطينية واعادة بناء مؤسساتها على أسس ديمقراطية باعتباره الطريق الوحيد لتوحيد صفوف الشعب الفلسطيني وتصعيد المواجهة ضد الاحتلال بمختلف الأشكال العسكرية والسياسية لانتزاع الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني.

المكتب الصحفي
١٩٩٨/٧/٢٣

د. جورج حبش يبرق للرئيس العراقي صدام حسين مهنئاً بذكرى ثورة تموز





بعث الرفيق جورج حبش ببرقية تهنئة الى الرئيس العراقي السيد صدام حسين يهنئه فيها بمناسبة ذكرى ثورة تموز وفيما يلي نصها:

الأخ المناضل / الرئيس صدام حسين المحترم

رئيس مجلس قيادة الثورة

رئيس جمهورية العراق

تحية العروبة والفداء، تحية فلسطين

يسعدني بمناسبة ذكرى ثورة السابع عشر من تموز، أن أبرق لكم مهنئاً بهذه المناسبة الوطنية والقومية الهامة والتي مثلت انطلاقاً وانعتاقاً هاماً ورئيسياً في تاريخ الشعب العربي العراقي البطل.

أخي الرئيس/ صدام حسين

إننا نشاطركم بكل قلوبنا أفراحكم واحتفالاتكم بهذه الذكرى، آملين لشعبنا العربي العراقي كل تقدم وازدهار.

أخي الرئيس

إن شعبنا العربي قد عانى ومازال من غطرسة وصلف التحالف الامبريالي الأمريكي / الصهيوني في استهداف واضح لضرب كرامة الأمة ومصالحها وحقها الكريم بالعيش في وطنها العربي الكبير، والذي يتجسد بالحصار والجوع والاجراءات التعسفية في ظل يافطة الأمم المتحدة والشرعية الدولية والتي في ظل سيطرة وهيمنة القطب الامبريالي الأمريكي، تكيل في قضايا العالم بمكيالين، وبما يحفظ ويحمي مصالحها ومصالح حليفتها اسرائيل.

أخي المناضل / الرئيس صدام

إن معارك الأمة الكبيرة وحماية أحلامها وأهدافها ومصالحها بحاجة لإرادة أحرار الأمة وسواعدها القوية، ونحن نرى الشعب العربي العراقي البطل والصامد رغم الحصار ساعداً لا يفت في عضده في معركة حماية مصالح هذه الأمة، ونطالب الحكومات العربية والحركات الشعبية والجماهيرية، ببذل كل الجهود الصادقة لفك الحصار على العراق الباسل والذي يضحي بالغالي والنفيس حفاظاً على كرامته وكرامة ووحدة أراضيه وللحفاظ على مستقبل أجياله في التقدم والازدهار.

مرة أخرى، باسم اللجنة المركزية للجبهة وباسم كوادرها وأعضائها وجماهيرها بالوطن والمغتربات وباسمي شخصياً أتقدم منكم وعبركم للشعب العراقي البطل الصامد مهنئاً بهذه الذكرى الهامة متمنياً لكم شخصياً وللشعب العربي العراقي الرفعة والمنعة.

أخوكم

د. جورج حبش

الأمين العام للجبهة

الشعبية لتحرير فلسطين

نائب أردني يضرب زميله المتحمس للتطبيع: مكانك في الكنيست عند نتنياهو

فيما صوتت غالبية أعضاء لجنة التوجيه الوطني في البرلمان الأردني مع قبول مناقشة قانون المطبوعات مادة مادة أول من أمس انقض مقرر اللجنة النائب محمود الخرابشة على النائب حمادة الفراعنة المشهور بمواقفه التطبيعية وانتزعه من كرسيه وطرحه أرضاً وداسه وصفعه وركله مرات وكاد يخنقه لولا تدخل النواب الحاضرين.

وتقول أوساط نيابية إن سبب العراك يرجع إلى مواقف النائب الفراعنة «في التطبيع والوحدة الوطنية» وليس بسبب اتهام الفراعنة للخرابشة، تلميحاً بـ «المزاودة السياسية». إذ صوت النائب الخرابشة، وهو مدير سابق لمخابرات الزرقاء (ثاني أكبر المدن الأردنية) مع رد القانون وشاركه في ذلك نائب الزرقاء اليساري بسام صدادين وبعدها قال الفراعنه إنه يصوت مع رد القانون «من باب المزاودة السياسية بما أن المزاودين كثر» وعندئذ طلب منه الخرابشة أن يتكلم في موضوع القانون، فطلب منه الفراعنة عدم التدخل فقام الخرابشة بإلقاء منفضة سجائر عليه وانقض عليه وانتزعه من كرسيه وطرحه أرضاً وداس على رقبته وصفعه وركله مرات وأمسك برقبته إلى أن تدخل عدد من النواب الحاضرين، حسب ما أكد نواب شهدوا الواقعة.

قال الخرابشة للفراعنة أثناء العراك إن ثمة نائبين مريضين لابد من إخراجهما من المجلس لموقفهما العنصري المضاد من الوحدة الوطنية. وزاد «مكانك في الكنيست عند نتنياهو. هذا مجلس يمثل الشعب الأردني النظيف بكل أطيافه». ويقول نواب إن الفراعنة لم يستطع إبداء مقاومة تذكر اللهم إلا دفع بعض أكواب الماء وفناجين القهوة أمام الخبرات القتالية للضابط المتقاعد. وتمكن النواب من الفصل بين النائبين بعدما كاد الفراعنة يختنق، وتمزقت ملابسهما. وبعدها ،حضر رئيس مجلس النواب سعد هايل السرور وطلب منهما المصالحة، فما كان من الفراعنة إلا أن قال إن «الباشا (الخرابشة) مثل أخي الكبير وتوجه نحوه وقبل رأسه».

ووصف الفراعنة المشاجرة بأنها «خلاف عادي نتيجة سوء فهم بين الزملاء» موضحاً ان تدخل رئيس مجلس النواب أفضى إلى «المصالحة والإحترام المتبادل». وقال إن الخرابشة «زميل أكن له كل الإحترام». وزاد: «خلاف وجهات النظر حيوي وصحي»، وسئل إن كان للقضية تبعات، فأجاب: «من جانبي انتهى الموضوع ولاتبعات».

وتلقى النائب الخرابشة التهاني من النواب والمواطنين وموظفي مجلس النواب بعد ضربه النائب الذي زار الكنيست الإسرائيلية مصطحباً معه النائب محمد رأفت، الأمر الذي جعل نواب المعارضة في حينها يقاطعون جلسة مجلس النواب مما أفقدها نصابها. وكان الشيخ محمد رأفت موجوداً عندما حدثت المشاجرة، لكنه لم يتدخل إطلاقاً.

وقد وعد أربعة نواب، حتى الآن، النائب الخرابشة بإهدائه بدلات وأحذية جديدة بدل ما تلف من ملابسه بفعل العراك.

ومن المفارقات أن الفراعنة كان عضواً في فصيل فلسطيني راديكالي، وعمل بعدها كاتباً صحافياً، إلا أنه متحمس جداً للتطبيع إلى درجة أن صاحب مطعم في مدينة جرش الأثرية طرده عندما دعا السفير الإسرائيلي إلى الغداء قبل نحو شهر، وعلى رغم عمله في الصحافة، إلا أنه انحاز إلى جانب الحكومة في مشروع قانون المطبوعات. في المقابل فإن النائب الخرابشة الذي عمل أكثر من عشرين عاماً في المخابرات الأردنية انحاز إلى الصحافة لدرجة تلقيبه بـ «نقيب الصحافيين في مجلس النواب». ويؤكد الخرابشة أن قانون المطبوعات الذي سيخرج من مجلس النواب سيكون متقدماً على القانون السابق لعام ١٩٩٣ وسيحافظ على مكتسبات الصحافة ووجه البلد الديمقراطي.

كلمة رئيس الوفد الفلسطيني نائب رئيس المجلس الوطني الفلسطيني الرفيق/ تيسير قبعة في المؤتمر السنوي للحوار البرلماني العربي - الأوروبي

ألقى الرفيق تيسير قبعة عضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، نائب رئيس المجلس الوطني الفلسطيني كلمة فلسطين في المؤتمر السنوي للحوار البرلماني العربي الأوروبي الذي انعقد في دمشق ما بين ١١-١٣ تموز/ يوليو ١٩٩٨ وفيما يلي أبرز ما جاء فيها:

يسعدني بداية أن أعبر بالأصالة عن نفسي وبالنيابة عن إخواني أعضاء الوفد الفلسطيني عن شكرنا للشعبة البرلمانية العربية السورية الشقيقة ورئيسها الأخ العزيز عبد القادر قدورة على استضافة هذا المؤتمر وعلى حسن الإستقبال وكرم الضيافة، وأن أتوجه بالتحية للشعب السوري الشقيق ورئيسه المناضل حافظ الأسد مؤكداً عمق العلاقات التي تربطنا وحرصنا على تعزيزها وتعميقها باستمرار.

ويهمني في هذا المؤتمر، أن أؤكد بأن الحوار البرلماني العربي - الأوروبي قد قطع شوطاً كبيراً في السنوات الأخيرة، وإنني لأتمنى أن يساهم هذا المؤتمر المنعقد في أجواء دمشق التاريخية العربية في تعزيز الحوار والإنتقال به خطوات نوعية إلى الأمام لما فيه صالح الشعوب العربية والأوروبية والتعاون والتنمية والسلام.

ولاشك بأنه ينتظرنا عمل شاق، وخاصة في الظروف الراهنة التي نشهد فيها المأزق الحاد للعملية السياسية الجارية في المنطقة جراء السياسات والإجراءات العدوانية الإسرائيلية، والتي كان آخرها قرار الحكومة الإسرائيلية القاضي بتوسيع حدود مدينة القدس وتشكيل ما يسمى بـ «سلطة بلدية شاملة»، والتي تستهدف ضم المستوطنات المقامة على الأرض الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧ لمدينة القدس وذلك لتهويدها وتغيير طابعها الديمغرافي ومعالمها الجغرافية والحضارية، وهي خطوة تتوج سلسلة من إجراءات عدوانية استيطانية واستفزازية دأبت الحكومة الإسرائيلية اليمينية المتطرفة على اتباعها بشكل منهجي في الآونة الأخيرة وخاصة في القدس ومحيطها غير آبهة بحقوق ومصالح الفلسطينيين وبمشاعرهم ومشاعر العرب والمسلمين والمسيحيين أجمع، ضاربة عرض الحائط باستحقاقات السلام والإتفاقات وبقرارات الشرعية الدولية وبصلف وعنجهية قل مثيلهما في التاريخ

السيد الرئيس..

أيتها السيدات والسادة..

لقد تمادت الحكومة الإسرائيلية بزعامة نتنياهو كثيراً في سياساتها المعادية للسلام، الرافضة للإنصياع لقرارات مجلس الأمن الداعية للإنسحاب من الأراضي العربية الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧ (بما فيها القدس) ومن باقي الأراضي العربية المحتلة - الجولان السوري المحتل وجنوب لبنان وبقاعه الغربي، وهي تبرهن كل يوم عن عدم استعدادها لإقامة سلام عادل وشامل في المنطقة، وتقوم على الأرض بتقويض كل إمكانية لذلك من خلال الإمعان في الإستيطان ونهب الأرض ومصادرتها وتهويد القدس وتغيير معالمها الحضارية والديمغرافية ووضعها القانوني وعزلها عن بقية الأراضي الفلسطينية وتمزيق الوحدة الترابية للأرض الفلسطينية، واستمرار الحصار والإغلاقات وأعمال القتل وإرهاب المستوطنين والإعتداء على حقوق الإنسان الفلسطيني واحتجاز الأسرى كرهائن.

كما وإننا لنأمل أيضاً، بأن تأخذ البرلمانات الأوروبية دوراً أفضل في حث حكوماتها على رفع الحصار الظالم عن العراق والجماهيرية الليبية والسودان. فاستمرار الحصار ألحق ويلحق الأذى والضرر الكبير بكل شعوب المنطقة ويدفع بشعوبنا إلى اليأس والإحباط، ويُبقي على المنطقة في توتر دائم يشكل منبعاً للعنف والحروب، التي تؤثر على الإستقرار والسلام العالميين.

إننا نثمن اتفاقية السلام التي وقعت في ايرلندا الشمالية والخطوات التي لحقتها بما في ذلك إجراء الإنتخابات وتشكيل حكومة تعمل على إنهاء التوتر وعدم الإستقرار لما في ذلك مصلحة الجاليتين البروتستانتية والكاثوليكية. ونتمنى أن يسود السلام في أوروبا وعالمنا العربي.

وفي الختام، ومرة أخرى نتطلع إلى دور فاعل للبرلمانيين والأوروبيين في نصرة شعبنا ومساندة القضايا العادلة لأمتنا العربية مؤكدين بأن العلاقات بين شعوبنا وتعزيز أواصر التعاون والتبادل التجاري والثقافي، لعلى صلة وثيقة بالسلام والأمن والإستقرار في المنطقة، وإننا لعلي ثقة بأن الجميع سيبقى وفياً لروح الحوار وضروراته واستحقاقاته التي تؤكد الحرص على السلام العادل والشامل الذي يؤمن لجميع شعوب المنطقة والعالم العيش بأمان واستقرار وتعاون واحترام متبادل ويعزز السلام العالمي وأواصر الصداقة والتعاون بين شعوب ودول العالم بأسره.■■



محمد نعيرات
٢٣ عاماً يتحدى السجن والجلاد

محمد نعيرات، ٢٣ عاماً من الحلم والحنين لأحبة نسوه أو تناسوه.

وحيداً في زنزانته المظلمة، يكتب تاريخنا، ومستقبلنا وحاضرنا بدموعه وتوقه إلى الحرية كحصان عربي أصيل.

وحيداً، يحلم بفنجان قهوة عربية وبكثير من الهال، من يد عروسه التي قدم ٢٣ عاماً من عمره مهراً لها.

٢٣ عاماً في الزنزانة المظلمة، ولايزال أبو رفعت يعلمنا كيف نتمسك بالأرض والشمس والهواء.

٢٣عاماً، ولم يثن الأسر من عزيمته (كل مؤامرات سلامهم لن تغير من الحقيقة شيئاً، وهي أن فلسطين عربية، وكل قول غير ذلك هو مغاير لمنطق التاريخ).

هذا ما يعلّمه أبو رفعت للمعتقلين الجدد، وعندما يسأله أحدهم عن مشاعره بعد كل تلك السنين في الأسر وخصوصاً أن الجلاد قد حكم عليه بالسجن المؤبد يجيب باسماً كعادته:

(كل يوم يمضي هو بالنسبة لي موعد اقتراب نهاية الدولة الخطيئة اسرائيل).

الله يا أبا رفعت.. كم هم صغار أمام هامتك.

٢٣ عاماً من الأسر، رغم التعذيب المتواصل على يد حراس السجن، ولايزال أبو رفعت يصرخ في وجوههم: «لامكان لكم تحت شمسنا... لامكان لكم فوق أرضنا».

٢٣ عاماً في الأسر، يدفع خلالها محمد نعيرات كل يوم ضريبة عشقه لفلسطين، وغيره يأخذ دون عناء، بل ويفرط بكل ما حلم به أبو رفعت ورفاقه.

٢٣عاماً في العتمة، أصيب خلالها بالتهاب دائم في العينين، إضافة إلى العديد من الأمراض، ومؤخراً أصيب بمرض فقدان الذاكرة نتيجة التعذيب المتواصل، لكنه لم ينس أبداً فلسطين، فذاكرته الفلسطينية والعربية خصبة جداً وعصية على من يريدون محوها.

رغم فقدان الذاكرة وارتعاش يديه المتواصل، لايزال محمد نعيرات ينشد وبصوت عال وجميل تلك الأغنية التي يريد أقزام أوسلو محوها من الذاكرة العربية:

أصبح عندي الآن بندقية

إلى فلسطين خذوني معكم

تحية حب ووفاء من كل عربي مخلص إلى محمد نعيرات، شيخ الأسرى الفلسطينيين والعرب، وهو يطفئ الشمعة ٢٣ لأسره، والشمعة ٧٠ من سني عمره.

د. وليم نصار

أولاد البلد للدفاع عن المعتقلين والأسرى العرب في سجون «إسرائيل»



أولاد البلد تطلق حملة دولية لإطلاق سراح محمد نعيرات من السجون الصهيونية

أطلقت منظمة أولاد البلد للدفاع عن الأسرى والمعتقلين العرب في السجون الصهيونية حملة دولية لإطلاق سراح شيخ الأسرى محمد نعيرات «أبو رفعت» ويشارك في الحملة عدد كبير من النشطاء في مجال الدفاع عن حقوق الإنسان، عدا عن المؤسسات الإنسانية في أوروبا، الولايات المتحدة الأمريكية وكندا.

وتقوم منظمة أولاد البلد بحملة لجمع ٥٠,٠٠٠ توقيع من مختلف أنحاء العالم على الرسالة التالية:

أنا الموقع أدناه.. أطالب الحكومة «الإسرائيلية» باطلاق سراح السيد محمد نعيرات، والمعتقل في سجون «إسرائيل» منذ أكثر من ٢٢ عاماً.

كما انني أتابع بقلق كبير وضع السيد محمد نعيرات الصحي، حيث أنه يعاني من التهاب دائم في العينين، ومن أمراض أخرى مختلفة آخرها مرض فقدان الذاكرة أو ما يسمى بمرض الزهايمر.

لقد أمضى السيد نعيرات أكثر من ٢٢ عاماً في سجون إسرائيل، وهو الآن في السبعين من عمره لذا فإن عدم إطلاق سراحه لأسباب أمنية كما تدعي حكومة «إسرائيل» ما هي إلا حجج غير إنسانية ولاتدل إلا على عنصرية هذا الكيان.

إنني اناشد المجتمع الدولي، ومنظمات حقوق الإنسان والنشطاء في مجال الدفاع عن حقوق الإنسان في جميع أنحاء العالم للمطالبة بإطلاق سراح السيد محمد نعيرات دون أية شروط.

حملة أولاد البلد العالمية لإطلاق سراح شيخ الأسرى محمد نعيرات من السجون الصهيونية

إلى من يهمه الأمر:

أنا الموقع أدناه أتابع بقلق كبير وضع السيد محمد نعيرات الصحي والمعتقل في سجون «إسرائيل» منذ اكثر من ٢٢ عاماً، وهو يعاني من أمراض مزمنة عديدة إضافة لمرض فقدان الذاكرة «الزهايمر» والذي أصيب به في الآونة الأخيرة.

لقد أمضى السيد نعيرات ٢٢ عاماً من عمره في سجون إسرائيل وهو الآن في السبعين من العمر، لذا فإن عدم إطلاق سراحه لايدل إلا على فاشية وعنصرية هذه «الدولة» التي لاتحترم حقوق الإنسان والتي كان آخر قوانينها الفاشية بالسماح باستخدام التعذيب ضد المعتقلين.

إنني أناشد المجتمع الدولي، ومنظمات حقوق الإنسان، والنشطاء في مجال الدفاع عن حقوق الإنسان في جميع أنحاء العالم للمطالبة والعمل على إطلاق سراح السيد محمد نعيرات دون أية شروط.

الرقم	الإسم	العمر	المهنة	مكان السكن	التوقيع

العنوان:
B.O Box 44019 MTL SQ P.O - Ottawa On. KIK 4P8 Canada
http://www.crosswinds.net/lebanon/~albalad
E-mail: awladalbalad@end-war.com

تعليق حول بعض الأفكار الواردة في المؤتمر التقييمي لبحث مسألة اللاجئين الفلسطينيين /المنعقد في كندا/

ناصر أبو العلا



أي مراجعة للتقرير، الصادر عن المؤتمر التقييمي لبحث مسألة اللاجئين الفلسطينيين الذي استضافه مركز البحوث التطويري العالمي في كندا، يبعث فعلاً على التأمل والدهشة، أولاً: بسبب مشاركة هذا الكم الكبير من مراكز الأبحاث (من جنسيات مختلفة) المتخصصة بمسألة اللاجئين الفلسطينيين، حيث لكل مركز من هذه المراكز بحوث ودراسات وإسهامات قام بنشر بعضها ويعمل على إنجاز بعضها الأخر، كمشاريع قيد الدرس، وثانياً: بسبب هذا الإهتمام (الكندي)، الذي يأخذ منحى خاصاً سواء من حيث الجهد الأكاديمي، أو الخلفيات السياسية التي تحركه.

بالطبع تستحق مشكلة اللاجئين الفلسطينيين مثل هذا الجهد، وربما أكثر، لأنها أحد أعقد المشاكل المعلقة والتي لايمكن برأينا أن تقوم أية قيامة لأي حل للقضية الفلسطينية، ما لم يؤخذ بعين الإعتبار جوهر هذه المشكلة، لكن يهمنا في الوقت نفسه أن نعرف اتجاهات التفكير والتصورات التي تطرحها هذه المراكز لحل قضية اللاجئين، سيما وأن نتائج هذه الدراسات توضع عادة بين أيدي صانعي السياسات وبالتالي فهي تؤثر في نهاية المطاف في القرار السياسي.

من الواضح أن هناك عشرات السيناريوهات حول قضية اللاجئين الفلسطينيين، تُطرح للنقاش والتداول وكلها في إطار التصورات النظرية والإحتمالات الممكنة بعضها يناقش المسائل الحقوقية والقانونية للمسألة، وبعضها يركز على الجوانب السياسية والأبعاد الأخلاقية، بعضها يطرح مسألة الإستيعاب في الدول المضيفة، أي التوطين والتعويض وبعضها يناقش إمكانية الإستيعاب في أراضي الحكم الذاتي (الضفة وغزة..) وبعضها يناقش مفهوم حق العودة، ومسألة الهوية الخ. ليس بإمكاننا نحن بطبيعة الحال في هذه المقاربة البسيطة أن نناقش بشكلٍ معمق هذه السيناريوهات وليس من مهمة هذه المقالة مثل هذا الهدف لأن المسألة تحتاج إلى جهد بحثي ومنهجي مختلف تماماً، نحن هنا، نحاول لفت الإنتباه، لبعض الأفكار التي تشكل خطراً فعلياً على قضية اللاجئين لأنها تطرح مشاريع حلول بديلة لحق العودة وتقرير المصير، وبمعنى أكثر تحديداً فهي تسقط حق اللاجئين الفلسطينيين الذين شردوا من أراضيهم في العام ١٩٤٨ في العودة إلى ارض أبائهم وأجدادهم، وتمنع عنهم حقهم في تقرير مصيرهم هناك، هذا الحق الذي مازالت تكفله قرارات الأمم المتحدة وبشكل خاص القرار /١٩٤/.

وحتى لايظل الكلام في إطار التعميم، نقصد بالخطورة بعض الأفكار التي طُرحت أثناء المؤتمر في جلسة «مناقشة العودة والإستيعاب» فأجواء هذه الجلسة كما جاء في التقرير تتجه باتجاه الإستيعاب في إطار الضفة وغزة، لأن بعض الأسئلة طُرحت حول «القدرة المؤسساتية للسلطة الفلسطينية للتعامل مع العودة والإستيعاب، وكما هي الدروس المستخلصة من عودة العدد المحدود من العائدين بخصوص إمكانية الإستيعاب المستقبلية لآلاف العائدين».

إن خطورة مثل هذه الأفكار أنها تشوّه وتحرّف مفهوم حق العودة، وكأن المسألة باتت محصورة بالعودة (كخيارات محتملة) إلى أراضي الضفة الغربية وغزة. أما العودة إلى أراضي فلسطين التاريخية المحتلة في العام ١٩٤٨ لكأنها مسألة غير قابلة للنقاش.

نعتقد أن أي حل، أو سيناريو حل لمشكلة اللاجئين لايأخذ بعين الإعتبار حقهم التاريخي العادل بالعودة وتقرير المصير لن يكتب له النجاح، لأن قضية اللاجئين كالجرح النازف بالنسبة للقضية الفلسطينية وهو لن يندمل أبداً.

لإعطاء فكرة عن جلسات المؤتمر ومادار فيها من أفكار يمكن أن نأخذ كعينة الجلسة التي ركزت على الفجوات والمشاكل وأولويات بحث اللاجئين الفلسطينيين.

ركزت هذه الجلسة على وجود الفجوات والمشاكل الموجودة في الأدب بخصوص بحوثات اللاجئين الفلسطينيين. وحدد المشاركون مجموعة من المسائل التي تحتاج إلى المزيد من التحليل. وتراوحت هذه المسائل من الميثولوجي والمفاهيمي والتجريبي.

وعلى صعيد الميثولوجي طرح اقتراح بخصوص السيناريوهات لحل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين. فعلى سبيل المثال قضية التعويض ليس فقط بالنسبة للقضية الفلسطينية، بل أيضاً لمئات الحالات الأخرى بما في ذلك اليهود.

ومن الناحية المفهومية، أيّد بعض المشاركين الحاجة الى دراسة المشكلة الفلسطينية وعلاقتها بالسياقات الأخرى، وربطوا بين حل هذه المشكلة وتأثيرها على الدول المضيفة السابقة في العالم العربي.

وفي ظل وجود سيناريوهات مختلفة للقرارات، اقترح المشاركون تحديد النماذج المختلفة للاجئين الفلسطينيين وتحديد أبعاد المشكلة.

ففي السابق: كان هناك شعور بأن المزيج من التجريب والتفاصيل والتحليل المركز يجب أن يركز على المجموعات التالية: سكان الخيمات في لبنان وسورية واللاجئين الفلسطينيين داخل إسرائيل ولاجئي عام ١٩٦٧ الذين وضعهم القانوني مختلف عن البقية واللاجئين الذين يعيشون خارج الخيمات.

فالمزيد من العمل التجريبي بخصوص العلاقة بين جميع هذه المجموعات كان ضروريا. وأيضاً كان هناك اتفاق بخصوص الحاجة للبدء بدراسة شاملة للظروف السياسية والإقتصادية والنفسية - الإجتماعية للاجئين والنماذج المختلفة للتعويض والمسائل الإنسانية الضاغطة الأخرى والأخلاقية مثل لم شمل العائلة.

وأيضاً جرى مناقشة دور المؤسسات الإنسانية، وصوّت المشاركون على وجهة النظر القائلة بأن هناك حاجة لمزيد من التقرير المفصل لإحتياجات اللاجئين. وأكثر من ذلك، دراسة إمكانيات الأونروا وقدرتها على تلبية الإحتياجات في ظل ظروفها الصعبة. واقترح البعض الحاجة إلى إعادة التفكير بدور الوكالة وتحديداً إمكانية تحويلها من مؤسسة خيرية إلى مؤسسة تطويرية.

وأخيراً، أقر المشاركون بضرورة العمل الجماعي لوضع حد لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين على جدول الأعمال سواء داخل أو خارج الشرق الأوسط. وأكثر من ذلك، اعترفوا بغياب حدوث أي تغيير هام بخصوص تغيير وجهات النظر اتجاه المشكلة وطالبوا بإجراء المزيد من البحوث.



وأكدوا بأن أي تغيير في وجهات النظر من قبل جميع الأطراف ستكون بمثابة عناصر حاسمة لأي قرار عادل.

كذلك يمكن أن نأخذ جلسة مناقشة التعويض كعينة أخرى لإتجاهات التفكير

إذ على الرغم من أن القليل من المشاركين عارضوا مناقشة مسألة التعويض - مبدين خوفهم من أن تستخدم محل الحقوق الشرعية للاجئين، أو إضعاف موقف المفاوض الفلسطيني - حيث عارض ذلك الأغلبية.

سياق التعويض:

جرى التطرق إلى نوعين من السياقات أثناء الجلسة. وضع المشاركون المسالة ضمن المخاوف الكبيرة لحق العودة والمسؤولية الأخلاقية، وهم أيضاً حاولوا وضعها في إطار السياق الإقليمي الإجتماعي - السياسي والإقتصادي الحالي.

ولاحظ المشاركون بأن مسالة التعويض قد استخدمت كبديل لمناقشة المسائل الأكثر صعوبة الأخرى كالمسؤولية الأخلاقية.

وأظهر المشاركون مخاوفهم من وضع مسألة التعويض في سياق عملية السلام حيث أكد أحد المشاركين على الحاجة للتفكير بخصوص التأثير المادي على مفاوضات الوضع النهائي بين الجانبين بما في ذلك النماذج التعويضية للاجئين في كل من سوريا ولبنان. واقترح ضرورة سماع اللاجئين بخصوص هذا الأمر. وأعلنت وجهات نظر مختلفة على أن التعويض سيكون جزءاً من اتفاق الحل النهائي الشامل.

ولاحظ المشاركون بأن مسالة التعويض معقدة، حيث جرى العديد من الإقتراحات بخصوص هذا الموضوع منها:

هل التعويض سيكون مبنياً على خسائر عام ١٩٤٨؟ وإلى أي جهة ستدفع التعويضات إلى الأفراد أم العائلات أو المجموعات؟ وهل من الأفضل أن تستخدم النقود في عملية التطوير؟

وهل المجتمع الدولي سيكون قادراً على دفع جميع التعويضات؟ وما هي الإنعكاسات الإقتصادية على الأفراد والدول؟ ومن هو المسؤول عن إدارة أنظمة التعويض؟ ومن الذي سيقوم بدفع التعويض؟

وعبر أحد المشاركين عن قلقه بخصوص الفجوة بين تقدير خسائر الفلسطينيين ومبالغ التعويضات التي ستدفع. وفي هذا السياق قدرت خسائر الفلسطينيين بحوالي ٢٠ مليار دولار بما يعادل ٢٠٠ مليار حسب سعر الدولار حالياً.

وستكون إسرائيل المصدر الرئيسي لدفع التعويضات بالإضافة إلى الولايات المتحدة والدول الغربية.

خاتمة

إن انعقاد مثل هذه المؤتمرات يجب أن يفتّح أذهاننا إلى ضرورة العمل الجاد والمنهجي والمدروس كي نأخذ قضيتنا بأيدينا. مما يفرض على تجمعات اللاجئين الفلسطينيين في كل أماكن تواجدهم، وبشكل خاص على رموزهم من السياسيين والباحثين والأكاديميين. والمثقفين بشكل عام، أن يبادروا إلى التدقيق بما يجري حولهم، عبر إعادة البحث والدراسة والإستقصاء بقضية اللاجئين (قضيتهم) وموقعها في سياقات الحلول المطروحة. يجب العمل على بلورة رأي عام واعٍ في صفوف اللاجئين الفلسطينيين واعٍ لقضيته وأبعادها المختلفة ■■

قراءة في التقرير السنوي لمؤسسة الضمير لرعاية السجين

اعداد: عصام سلامة

تناول التقرير السنوي لمؤسسة الضمير لرعاية السجين الذي صدر في نيسان ١٩٩٨ موضوع السجين الفلسطيني وما يتعرض له من شتى صنوف التعذيب والمعاناة في السجون الإسرائيلية، بشكل تفصيلي ودقيق، حيث تحدث التقرير عن مقدمة وسبعة بنود ـ ولأهمية المعلومات نضع القارئ في صورة هذا التقرير ـ لقد جاء في المقدمة أن السلطات الإسرائيلية العسكرية واصلت إجراءاتها الإعتقالية ضد المواطنين الفلسطينيين في كافة المناطق، والتي اتخذ بعضها شكل حملات واسعة أبرزها تمت في شهري أيار وآب من عام ١٩٩٧ وجرى تحويل جزء كبير من المعتقلين إلى الإعتقال الإداري حيث بلغ عدد المعتقلين الإداريين في شهر آب حوالي ٨٠٠ معتقل من بينهم إمرأتان.

وخاضت السجون إضرابات عديدة متقطعة عن الطعام وبشكل خاص الإداريين، نذكر من بينها اضراب عن الطعام للمعتقلة عطاف عليان الذي استمر ٤٠ يوماً احتجاجاً على اعتقالها الإداري والإضرابات التضامنية معها في سجون مختلفة.

كما واستمر استخدام أساليب التعذيب المختلفة ضد المعتقلين في مراكز التحقيق، الأمر الذي أدى إلى استشهاد ثلاثة معتقلين خلال عام ١٩٩٧ نتيجة الضرب والتعذيب وكانت المحكمة العليا الإسرائيلية قد عقدت جلسة في كانون الأول بتسعة قضاة للنظر في موضوع التعذيب واستخدامه ضد المعتقلين الفلسطينيين وقد أقرّت (استخدام أساليب تعذيب المعتقلين الفلسطينيين لدرء الأخطار المتوقعة).

كما منعت العديد من العائلات من زيارة المعتقلين لأسباب مختلفة، بالرغم من التسهيلات التي أدخلت في آب/ ١٩٩٧ بالسماح للاقارب من الدرجة الثانية بزيارة المعتقل. وتابعت المقدمة الحديث عن الأوضاع المعيشية والحياتية والصحية للاسرى داخل السجون.. فقد استمرت المضايقات والإجراءات التعسفية من بينها سياسة التفتيش وخاصة الليلي والمذل أو من خلال عزل المعتقلين الفردي أو الجماعي، أو نقل المعتقلين المتكرر من سجن إلى آخر، بالإضافة إلى حالة الإكتظاظ في داخل الغرف في السجن، وإبقاء الأسرى في سجون بعيدة عن مناطق سكناهم، والإهمال الطبي للمعتقلين من خلال تأخير تقديم العلاجات، والتباطؤ في إجراء الفحوصات والعمليات الجراحية المستعجلة، الأمر الذي أدى إلى استشهاد معتقل في كانون ثاني/ ١٩٩٧.

كما لم تعط مديرية السجون الفرصة للمعتقلين لإستكمال تعليمهم في الجامعات الفلسطينية إضافة إلى كل هذه الظروف، واصلت اسرائيل تعنتها بعدم إطلاق سراح الأسرى والمعتقلين وفق الإتفاقات المبرمة بين الطرفين الإسرائيلي والفلسطيني وبالتالي استمرار حالة الشعور بعدم الإهتمام والإهمال والإحباط الذي أصاب الأسرى جراء هذه السياسة.

وفي إطار هذا الواقع والسياسة الإسرائيلية والإجراءات والأساليب المتبعة عملت مؤسسة الضمير انطلاقاً من أهدافها وبرامجها وفي الإتجاهات المختلفة جملة من الأنشطة والفعاليات كمساهمة فاعلة وأساسية في تقديم الخدمات للاسرى وتوفير متطلباتهم وحل قضاياهم وقد تركز فعل المؤسسة في الأصعدة التالية:

١ـ برنامج المتابعات القانونية.
٢ـ برنامج متابعة أوضاع السجون والأسرى ـ الزيارات الدورية.
٣ـ الإعتقالات الإدارية.
٤ـ التعذيب والحملات الإعتقالية
٥ـ الظروف المعيشية (المتطلبات، مركز التنقلات، وزيارة الأهالي، العزل.. الخ).
٦ـ المتابعات الصحية
٧ـ نشاطات وعلاقات على الصعيد المحلي والدولي

أولاً: المتابعات القانونية:

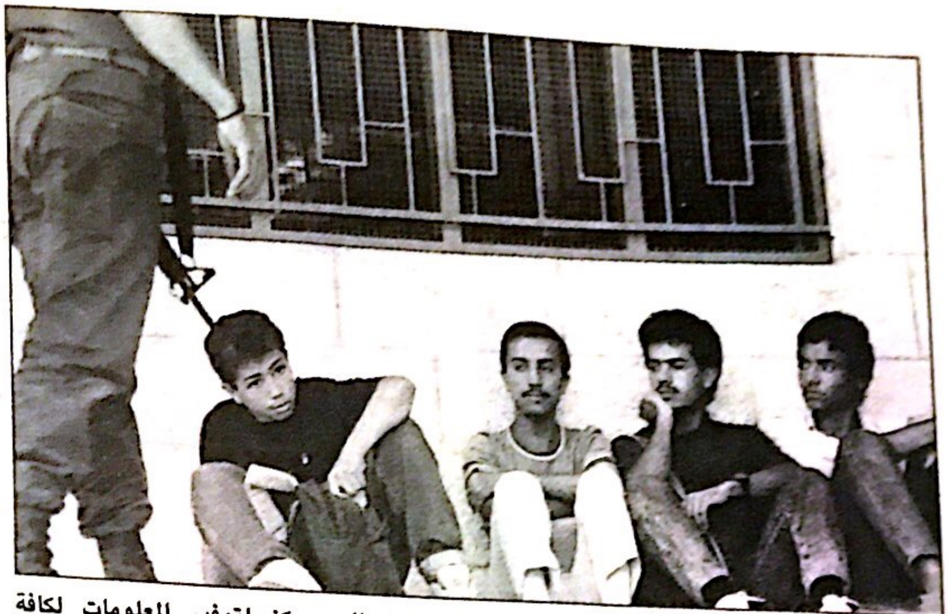
بلغ عدد الحالات التي تابعتها المؤسسة خلال العام ١٩٩٧، ٢٢٥ حالة، وقد اتخذت المتابعة أشكالاً مختلفة منها التوجه للقضاء والمحاكم أو الإرشادات القانونية أو كتابة المذكرات ومتابعتها.. كما شملت هذه الحالات إداريين ومرضى وفترة التحقيق وموقوفين ومحكومين وعزلاً ومعزولين.. وقد تمّ ذلك من خلال محامي المؤسسة ومكتبها ووفق أقصى إمكانياتها مع ملاحظة أن أفق هذا المجال واسع جداً الأمر الذي يتطلب العمل على رفع الإمكانات، والجدول رقم (١) يوضح التوزيعات.

ثانياً: برنامج متابعة أوضاع السجون والأسرى (الزيارات الدورية)

لقد قامت المؤسسة في سنة ١٩٩٧ بـ ٧٥ زيارة من قبل المحامي إلى كافة السجون والمعتقلات الإسرائيلية وكان الهدف من هذه الزيارات المتابعة لأوضاع المعتقلين الصحية والمعيشية والنفسية أو الحالة العامة إثر الإضرابات والتوترات أفراداً أو جماعات، ومن خلال هذه الزيارات استطاعت المؤسسة أن تساهم في رفع العبء عن المعتقلين من خلال الإتصال بالجهات المعنية للعمل على إدخال المواد العينية من أجل تحسين ظروف المعتقلين، كما ساهمت من خلال الزيارات من تخفيف حدة

الحالة	العدد	مرضى	إرشاد	متابعة قانونية
إداري	١١٠	٩	١٤	١٢
تحقيق	٥٤	١	-	١
موقوفون	٢٦	-	٢٥	١
محكومون	٣٠	٢٤	-	٦
معتقلو سلطة	٥	٢	١	٢
المجموع	٢٢٥	٣٦	٤٠	٢٢

جدول رقم ١



التوتر التي عاشتها المعتقلات خلال هذه السنة، وقامت المؤسسة بمتابعة الإضرابات عن الطعام التي خاضها المعتقلون من أجل العمل على تحسين ظروفهم، وكذلك قامت المؤسسة برفع المذكرات للجهات الإسرائيلية المعنية وتم فيها شرح أوضاع المعتقلين والمطالبة بتحسين ظروفهم، ومن هذه الإضرابات التي تمت إضراب سجن مجدو الذي جرى في شهر آذار حيث كان من أهم مطالب المعتقلين وقف سياسة الإعتقال الإداري وكذلك تحسين الظروف المعيشية للمعتقلين، وإضراب سجن الدامون في شهر ١٩٩٧/١٢، وكان من أهم مطالبهم تحسين الأكل من حيث الكم والنوع، ووقف سياسة الإدارة التعسفية في التعامل معهم، وبذلك شكلت المؤسسة حلقة وصل بين المعتقل وذويه والمجتمع والمؤسسات الشعبية والرسمية.

ثالثاً: قضية الإعتقال الإداري:

لقد أخذت قضية الإعتقال الإداري جهداً كبيراً من عمل المؤسسة بسبب التطورات التي طرأت على سياسة الإعتقال الإداري والتي نوضحها الحيثيات التالية:

١- واصلت السلطات الاسرائيلية سياسة الإعتقال الإداري بصورة ملحوظة فقد تعاظم إصدار أوامر الإعتقال الإداري واتخذت في بعض الأحيان شكل حملات واسعة كان أبرزها الحملة في شهري تموز وآب حيث وصل العدد إلى ٨٠٠ معتقل وهذا أعلى رقم منذ عام ١٩٩٤ وكان بين المعتقلين امرأتان هما نادية حداد وعطاف عليان.

٢- سياسة تجديد أوامر الإعتقال الإداري المتكررة - ولأكثر من مرة - لأعداد كبيرة من الإداريين فهناك من اعتقل في سنوات ٩١-٩٢-٩٣-٩٤ ومازال يخضع للإعتقال الإداري ووصلت المدة للبعض اكثر من خمس سنوات مثل حالة المعتقل أحمد قطامش، وفي منتصف العام بلغ الذين تمّ التجديد لهم أكثر من مرة حوالي ١٨٠ معتقلاً.

٣- اتخذت السلطات الإسرائيلية إجراءات واسعة في نقل المعتقلين من مكان إلى آخر بهدف خلخلة الموقف الوحد للمعتقلين ولضرب تحركهم الإحتجاجي، وبذلك جرى تقسيم الإداريين إلى اربعة أقسام، قسم في مجدو وآخر في سجن تلموند وعددهم حوالي ٩٠ وقسم ثالث في الدامون وعددهم ٥٠ والقسم الرابع في عسقلان وهم من المرضى. هذه الحركة من التنقلات أوجدت مصاعب ومشاكل جديدة أمام المعتقلين مما تطلب جهداً إضافياً في التغلب على هذه الصعوبات.

٤- حولت إسرائيل العديد ممن أنهوا مدة حكمهم إلى الإعتقال الإداري أبرزهم أحمد مهداوي بعد ١٢ سنة ومحمد جاموس بعد ١٢سنة.

من ناحية أخرى أصدرت مؤسسة بتسليم في أيلول تقريراً شاملاً حول الإعتقال الإداري وعلى الصعيد الدولي أصدرت منظمة العفو الدولية في نيسان تقريرها حول الإعتقال الإداري بعد جولات عديدة إلى الأراضي المحتلة والذي وزعته إلى مجموعاتها المنتشرة في بلدان العالم والتي بدورها قامت بإرسال مئات الرسائل التضامنية مع المعتقلين وذويهم ورسائل احتجاجية إلى السلطات الإسرائيلية.

لقد كان لمؤسسة الضمير دور فاعل وملموس في تبني قضية الإعتقال الإداري فتحولت إلى مركز لتوفير المعلومات لكافة الجهات المعنية محلياً وخارجياً ومركز الإدارة وتنظيم محاكم الإستئناف، فعلى الصعيد المحلي بادرت ونظمت وشاركت في كافة الفعاليات من بينها إدارة حملة التضامن مع عطاف عليان، كما خصصت جزءاً أساسياً من برنامج زياراتها للمعتقلين الإداريين.

وفي المستوى الإسرائيلي زودت بتسليم ومؤسسات حقوقية أخرى بالمعلومات المتوفرة وكذلك وسائل الإعلام المختلفة.

وفي المستوى الدولي زودت المؤسسة منظمات حقوق الإنسان وخاصة أمنستي بالمعلومات التي كانت ضرورية لتقرير أمنستي.

لقد نجحت مؤسسة الضمير في إدارة وتنظيم الصلة والتعاون بين الداخل والخارج بين المعتقل وذويه والجماهير.. حتى أصبحت عنواناً يتوجه إليه كل من يريد أن يتناول قضية الإعتقال الإداري.

رابعاً: التعذيب والحملات الإعتقالية:

١- استمرار الإعتقالات في صفوف الفلسطينيين:

رغم الإتفاقات التي عقدت بين السلطة الفلسطينية والطرف الإسرائيلي واصلت إسرائيل العديد من الخروقات التي تتناقض مع هذه الإتفاقات، ومن هذه الممارسات سياسة الإعتقالات الواسعة التي تقوم بها حيث وصل عدد المعتقلين في عام ١٩٩٧ إلى حوالي ١٥٠٠ معتقل من الضفة الغربية، وقد طالت هذه الإعتقالات مناطق خاضعة للسيطرة الفلسطينية، وقد حول جزء كبير من المعتقلين إلى الإعتقال الإداري (أي بدون محاكمة ولائحة اتهام). كما تم اعتقال عدد من النساء الفلسطينيات وتمّ تحويل جزء منهن للإعتقال الإداري.

الاسم	العمر	تاريخ الاستشهاد	السجن	العنوان
عمر ابراهيم موسى فرج	٢٢ عاماً	١٩٩٧/٢/٦	الرملة	سلوان
خالد علي عايش أبو دية	٣٦ عاماً	١٩٩٧/٥/٢١	المسكوبية	بيت لحم
مروان معالي	٣١ عاماً	١٩٩٧/٩/١٦	مجدو	جنين-عجه

جدول رقم (٢)

٢ـ التعذيب في مراكز التحقيق:

واصلت إسرائيل أسلوب التعذيب الجسدي والنفسي ضد المعتقلين خاصة في أعقاب التفجيرات في داخل اسرائيل وحولت العديد من المعتقلين إلى مراكز التحقيق التي تمارس بها أجهزة الأمن الإسرائيلية أبشع الأساليب مثال: الشبح المتواصل، عدم السماح بالنوم، الضرب العنيف، الحرمان من الطعام والماء أحياناً، التهديد بالإبعاد أو القتل، التعذيب النفسي وسوء المعاملة، الضغط على الحواس من خلال استخدام موسيقى صاخبة، ومن أخطر الأساليب الهز العنيف الذي أدى إلى استشهاد المواطن عبد الصمد حريزات في عام ١٩٩٦.

٣ـ المحكمة العليا الإسرائيلية تجيز استخدام التعذيب:

رغم كل الاحتجاجات التي رفعت من منظمات حقوق الانسان العالمية والمحلية، إلا أن المحكمة العليا أقرت استخدام ما أسمته «قدر معتدل من الضغط الجسدي والنفسي» ضد المعتقلين وبهذا تعتبر إسرائيل الدولة الوحيدة في العالم التي أقرت استخدام التعذيب من خلال جهات قضائية عليا.

٤ـ استشهاد معتقلين أثناء التعذيب:

خلال سنوات الاحتلال الاسرائيلي للاراضي الفلسطينية يذكر أنه استشهد ٦٦ معتقلاً خلال تعرضهم للتعذيب أو الضرب على أيدي أجهزة المخابرات الاسرائيلية، أو الشرطة والسجانين، والاستمرار في استخدام الأساليب المختلفة في التعذيب أدى إلى استشهاد ثلاثة معتقلين في العام ١٩٩٧م سواء كان ذلك من الضرب المبرح أو التعذيب داخل الزنازين. كما هو موضح في الجدول رقم (٢).

٥ـ أصدرت أجهزة الأمن العسكرية الاسرائيلية قراراً يحمل رقم ١٤٥٥ يقضي بحق اسرائيل باعتقال مواطنين من مناطق (ب، ج) وهذا القرار يعني أن كل مواطن فلسطيني بغض النظر عن مكان اقامته ضمن مناطق السلطة أو خارجها معرض للاعتقال.

٦ـ عرب الجهالين (البدو):

من بين الحملات الاعتقالية التي تابعتها المؤسسة ـ قانونياً وإرشادياً ـ اعتقال حوالي ٥٤ من عرب الجهالين البدو على خلفية عملية في وادي القلط وذلك في شهر نيسان، وقد تابعت المؤسسة هذه القضية بكامل أفرادها، وقد تعرض جزء كبير منهم لكافة الأساليب المستخدمة في الزنازين الاسرائيلية، وقد تم اعتقال عائلات بكاملها، من الأم للأب للأبناء.

٧ـ عدد المعتقلين في السجون:

أما بالنسبة لعدد المعتقلين الموجودين في السجون الاسرائيلية، فقد بلغ عددهم حتى آذار لعام ١٩٩٨م حوالي ٢٥٠٠ معتقل موزعين على السجون الاسرائيلية (سجن ايلون، سجن الرملة، سجن تلموند، سجن بئر السبع، سجن الدامون، سجن شطه، سجن نفحه، سجن عسقلان، معتقل مجدو).

كما وهناك مراكز تحقيق عديدة، عدد المعتقلين فيها متغير ومتحرك باستمرار ومن هذه المراكز: عسقلان، الجلمة، المسكوبية، مجدو، بتاح تكفا.

٨ـ الأسيرات الفلسطينيات:

لقد تم الافراج في شهر شباط ١٩٩٧م عن ٣٥ معتقلة فلسطينية بعد مماطلة طويلة من الطرف الاسرائيلي، والجدير بالذكر أن الافراج عن المعتقلات كان نتيجة الاتفاقات التي وقعت بين الاسرائيليين والفلسطينيين قبل أكثر من ثلاثة أعوام، ولم تمض عدة أسابيع حتى بدأت في اعتقال النساء، فَقد وصل عدد المعتقلات حوالي ١٥ معتقلة فلسطينية في هذا العام ومن بينهن اثنتان ممن أطلق سراحهن (نادية حداد، عطاف عليان) وقد تم وضعهن رهن الاعتقال الاداري، وقد خاضت المعتقلة عطاف عليان اضراباً مفتوحاً عن الطعام احتجاجاً على اعتقالها لمدة ٤٠ يوماً، وقد تضامن معها عدد من المعتقلين، كما تضامن معها العديد من المؤسسات والمنظمات الشعبية المحلية والعربية والعالمية.

خامساً: الظروف المعيشية (المتطلبات، حركة التنقلات، زيارة الأهالي، العزل... الخ):

لقد عانى المعتقلون على مر الزمن الكثير من المشكلات التي واجهتهم من أجل تحسين ظروفهم المعيشية داخل السجون وقد خسروا الشهداء وعانوا من المرض نتيجة الاضرابات التي خاضوها، وتحاول مديرية السجون سحب الانجازات التي حققتها الحركة الأسيرة، وقد اتخذت السلطات الاسرائيلية اجراءات عديدة بهدف الضغط على الأسرى للحيلولة دون تحسين ظروفهم والمطالبة بالافراج عنهم، والحيثيات التالية توضح ظروف الحياة الاعتقالية:

١ـ العزل:

لقد دأبت السلطات الاسرائيلية على استخدام أسلوب العزل الانفرادي والجماعي وفي ظروف معيشية قاسية جداً بهدف إما عقابي أو احتياطي لضرب الحركة الأسيرة وكسر مواقف الأسرى الموحدة وابعاد العناصر القيادية المؤثرة وذلك بهدف محاصرة نضالات الأسرى لتحسين شروط اعتقالهم، ومن الأمثلة البارزة على هذه السياسة افتتاح سجن نفحه الصحراوي عام ١٩٨٠، غير أن اضراب الأسرى الشهير الذي ذهب ضحيته راسم حلاوة وعلي الجعفري وفيما بعد وبأثر ذلك اسحق مراغة حال دون تحقيق هذا الهدف ليتحول هذا السجن إلى سجن كبير يتسع للمئات.

كما قامت ادارة السجون بفتح قسم عزل نتسيان في الرملة عام ١٩٨٩م والذي تقرر اغلاقه بعد اضراب ١٩٩٢م وفعلياً أغلق سنة ١٩٩٤م، كما افتتحت قسمين للعزل في سجن بئر السبع بعد انتفاضة السجون عام ١٩٩٢م حيث قامت في حينه بعزل عدد كبير من المناضلين.

لقد واصلت ادارة السجون سياسة العزل بالتركيز على قسمين للعزل الأول في بئر السبع والثاني في الرملة وشمل العزل أفراداً عديدين ولفترات طويلة وفي ظروف صعبة جداً مع اجراءات عقابية مثل منع الزيارة وتحديد فترة (الفورة) للحد الأدنى وتقييد الحرية وحصرها في الزنزانة.

لقد ثبت لدينا بالملموس ومن خلال متابعاتنا للحالات المعزولة مدى الآثار المدمرة للعزل ـ جسدياً ونفسياً واجتماعياً ـ فهي في النهاية عقوبة تترك آثاراً صحية سلبية مخالفة للقوانين الانسانية التي تنص على حماية الانسان.

لقد تابعت الضمير هذا الجانب سواء على المستوى القانوني أو توفير زيارات للمحامي للقاء المعزولين ومتابعة ذلك مع ادارة السجون.

٢ـ مشكلة الغذاء كماً ونوعاً:

يعتبر توفير الغذاء كماً ونوعاً وطريقة اعداده أحد المحاور الرئيسية في نضالات الأسرى لارتباط ذلك بصحتهم وحاجتهم الطبيعية على مدار كل السنوات السابقة، وهناك شكوى شبه دائمة من الأسرى حول نقص الغذاء الكمي والنوعي بالاضافة إلى طريقة اعداده، هذا ولم تتحسن شروط توفير الغذاء عام ١٩٩٧م عن السابق بل استمرت شكوى الأسرى ومطالبتهم بتحسين ذلك.

ومن الجدير ذكره أن الأسرى يحاولون سد هذا النقص في الغذاء عن طريق شراء بعض المواد الغذائية من الكانتينا أو ادخال البعض الآخر عبر الأهالي مثل الزيت، علماً أن الصحيح توفير المتطلبات الغذائية من قبل الجهات المسؤولة.

٣ـ سياسة التنقلات:

أجرت مديرية السجون عام ١٩٩٧م حركة تنقلات واسعة في صفوف المعتقلين سواء كانت بين السجون أو داخل السجن الواحد، حيث قامت باغلاق بعض السجون أو فتح سجون أخرى، الأمر الذي جعل المعتقلين لا يشعرون بالاستقرار، وهذه السياسة جاءت من أجل تشتيت وتفتيت الجهد الجماعي الذي يقوم به الأسرى من أجل تحسين ظروفهم المعيشية والحياتية، مما يؤدي إلى اضطراب حياة المعتقل وارهاق أهالي المعتقلين بسبب نقل معتقلين من منطقة الشمال إلى سجون الجنوب ومعتقلين من منطقة الجنوب إلى سجون



الشمال، كما وتؤدي عملية نقل المعتقلين إلى ارهاق الأهالي بسبب تغيير تصاريح الزيارة لتكون صالحة للسجن الجديد. ومن أهم التنقلات التي حدثت عام ١٩٩٧م نقل ٢٠٠ معتقل من سجن بئر السبع إلى سجن نفحه، ونقل ١٥٠ معتقلاً من سجن مجدو إلى سجن الدامون وتلموند، ونقل ٧٠ معتقل من تلموند إلى الدامون.

٤- التفتيشات المستمرة للمعتقلين:

من بين المضايقات التي يتعرض لها المعتقلون كثرة حالات التفتيش لغرف المعتقلين، تحت حجة أن هناك محاولات هرب من قبل المعتقلين، وهذا الأمر أدى إلى حالة توتر شديد بين ادارة السجون وبين المعتقلين، خاصة أنه لم يكن هناك وقت محدد لعملية التفتيش، فكانت تتم في أي وقت، وغالباً بعد منتصف الليل، بالاضافة إلى التفتيش المهين لأهالي المعتقلين.

٥- زيارة أهالي المعتقلين:

بالرغم من التسهيلات التي تم الاعلان عنها في آب ١٩٩٧ بالسماح للأقارب من الدرجة الثانية بالزيارة للمعتقل، إلا أن أجهزة الأمن الاسرائيلية مستمرة في عملية تعقيد زيارة الأهالي لأبنائهم المعتقلين، وهناك العديد من الأهالي الذين لم يحصلوا على تصاريح زيارة منذ أكثر من سنتين. وذلك بسبب الشروط الاسرائيلية التي تفرضها من أجل الحصول على التصاريح والتي تعتبر شروطاً مجحفة وغير انسانية. ولكنها سياسة لحرمان اتصال المعتقلين مع ذويهم. ومن أقرب الناس لهم فمنع الزوجة من زيارة زوجها، أو الابن من زيارة والده. أو الأخ من زيارة أخيه وهذه السياسة ليس لها أي علاقة بالأمن.. الأمر الذي جعل الكثير من الأقرباء لا يستطيعون أن يقوموا بزيارة المعتقل. وهي أهم المشاكل التي تواجه أهالي المعتقلين.

وقد قامت المؤسسة برفع العديد من القضايا من خلال محامي المؤسسة. وكسبت جزءاً منها من خلال اعطاء بعض الزوجات تصاريح لزيارة أزواجهن، وكان التصريح يأتي لمرة واحدة فقط ومن هذه الحالات: زوجة المعتقل أحمد قطامش، زوجة المعتقل خالد دلايشة، زوجة المعتقل أمجد كراجه، زوجة المعتقل باسم كراجه،... الخ.

سادساً: على المستوى الصحي:

بسبب طول فترة الاعتقال للمئات وبسبب عدم العناية الصحية والكاملة للأسرى تحول الأمر الصحي إلى قضية هامة ومضنية فهناك العشرات ممن تأخر علاجهم بما في ذلك اجراء العمليات الضرورية الأمر الذي أدى إلى تفاقم الوضع الصحي للكثير من الأسرى، ونذكر هنا استشهاد ٢٧ معتقلاً لأسباب صحية آخرها عام ١٩٩٧ كان رياض محمود عدوان من رفح - الشابورة - ٤٢ عاماً بتاريخ ١٩٩٧/١/١١ في سجن بئر السبع.

لقد تابعت المؤسسة حالات عديدة من أهمها المعتقل ربحي قطامش المريض بالقلب وموسى مشارقة المصاب بآلام حادة في عينه، وجاءت المتابعة بالتنسيق مع جهات معينة مثل رابطة الأطباء الاسرائيلية - الفلسطينية وبالمتابعة القانونية برفع المذكرات إلى الجهات المسؤولة.

سابعاً: نشاطات وعلاقات المؤسسة على الصعيد المحلي والدولي:

عملت المؤسسة على الارتقاء بعلاقاتها المحلية بما يخدم أهداف وتوجهات المؤسسة في قضايا حقوق الانسان عامة وقضايا الأسير خاصة، وذلك من خلال نسج علاقات تنسيق وتعاون مع مؤسسات حقوق الانسان، كما مارست نشاطات ميدانية من خلال المبادرة أو المشاركة، وفيما يلي أهم جوانب هذا الباب:

١- اللقاءات والاجتماعات: شاركت المؤسسة في تنظيم الاجتماعات واللقاءات والدعوات، وقد بلغ عدد المشاركة في الاجتماعات حوالي ٥٢ اجتماعاً، ضم أكثر من مؤسسة وجهة، وفي أكثر من اتجاه.

٢- التقارير: أصدرت المؤسسة خلال العام ثلاثة تقارير شاملة حول وضع الأسرى والمعتقلات، أحدهما بمناسبة يوم السجين واثنان صدرا باللغة العربية والانجليزية حول ظروف الأسرى والمعتقلين.

٣- ورشات العمل: شاركت المؤسسة خلال العام في أربع ورشات عمل محلية في المواضيع التالية: حقوق الانسان. تقرير الرقابة الفلسطيني، سلطة القضاء الفلسطيني. آليات عمل هيئة الأمم المتحدة.

٤- المسيرات والاعتصامات: بادرت المؤسسة وشاركت في العديد من المسيرات والاعتصامات التضامنية مع الحركة الأسيرة، وتم تسجيل مشاركة أساسية في سبع فعاليات.

٥- مقابلات وأحاديث اذاعية: بلغ عدد المشاركة في هذا الجانب الذي اقتصر على طرح قضايا الأسرى والسجون خمس عشرة مقابلة مذاعة محلياً.

٦- العلاقة مع مؤسسات حقوق الانسان الاسرائيلية: حافظت المؤسسة على علاقات مع منظمات حقوق الانسان المحلية وكذلك بعض وسائل الاعلام والشخصيات الاسرائيلية بما يخدم قضية الأسرى سواء في الموضوع التضامني أو الصحي أو خروقات حقوق الانسان أو قضية الاعتقال الاداري.

٧- معتقلو السلطة الفلسطينية: لقد قامت السلطة الفلسطينية باعتقال أعداد كبيرة من الفلسطينيين إثر حوادث التفجير ضد الاسرائيليين في العام ١٩٩٧ وخاصة في شهر آب، والجزء الأكبر من هؤلاء المعتقلين لم يقدم بحقهم لائحة اتهام وكذلك لم يكن هناك مذكرة توقيف يتم من خلالها الاعتقال، وقد أمضى جزء من المعتقلين فترة اعتقال تزيد عن الشهرين في المعتقل واستمر احتجاز آخرين حتى نهاية العام ١٩٩٧ ولم يتم الافراج عنهم لغاية الآن، ويذكر أن محكمة أمن الدولة الفلسطينية قامت بالحكم على ١٧ معتقلاً خلال عام ١٩٩٧ بأحكام تتراوح بين السنة والمؤبد، كما أنه يوجد في سجون السلطة الفلسطينية حوالي ١١٧ معتقلاً لم يتم تقديمهم لمحكمة ولم تصدر بحقهم لائحة اتهام وقد أمضى جزء منهم أكثر من ثلاث سنوات.

وقد تابعت المؤسسة قضية هؤلاء المعتقلين واتصلت بالعديد من المؤسسات المحلية والدولية، وكذلك الاتصال بالجهات المعنية للعمل على اطلاق سراحهم ■■

اتحاد لجان العمل الزراعي في الضفة والقطاع

أنشطة وفعاليات*

اعداد: أحمد جابر

اتحاد لجان العمل الزراعي في فلسطين «مؤسسة تنموية زراعية أهلية، غير هادفة للربح» تأسس عام ١٩٨٦، في خطوة أراد منها المؤسسون التصدي أساساً لعمليات المصادرة والإستيطان، والدفاع عن الأرض وحمايتها في وجه الهجمة الصهيونية، وكذلك العمل على تطوير أداء المزارعين وتطوير القطاع الزراعي الفلسطيني وتنميته، وكل ذلك عبر إجراءات ميدانية، تشمل استصلاح الأراضي وشق الطرق الزراعية ودعم صمود الفلاحين، وتفعيل مشاركة المرأة في عملية التنمية، إضافة إلى الحد من نسبة البطالة في المجتمع عبر بناء مشاريع انتاجية وتشغيل العاطلين عن العمل.

وهنا استعراض سريع لأهم نشاطات وإنجازات الإتحاد في مختلف المجالات خلال العامين الماضيين وهذا الإستعراض يشمل فرعي الإتحاد القائمين في الضفة وقطاع غزة، المستقلين إدارياً بسبب ظروف الإحتلال والإغلاق.

أولاً: برامج الإرشاد والتدريب الزراعي:

أصدر الإتحاد في هذا السياق ٣٧٠٠ نشرة في مسائل متنوعة، ويقدم الإرشاد الزراعي الميداني عبر المهندسين لمئات من المزارعين في الضفة والقطاع، كما نظم العديد من الدورات في مجالات متنوعة بلغت ١٤٢٣ ساعة تدريب استفاد منها ٣٩٥٣ مزارعاً.

وعلى صعيد توفير المياه وحمايتها نفذ الإتحاد عمليات صيانة لآبار في مناطق مختلفة من غزة بلغ عدد المستفيدين منها ٢٩٦ إضافة لتوزيع فلاتر لتكسير الأملاح استفاد منها ١٣٢ مزارعاً، أما في الضفة فقد أنجز الإتحاد ما مجموعه ٣٨٢ بئراً للزراعة والشرب استفادت منها ٣٨٢ عائلة توزعت على ٩ مناطق في الضفة.

ومن جهة أخرى نفذ الإتحاد برنامجاً لحماية البيئة، شمل إنشاء مائة وحدة صرف صحي مستقل في مختلف مناطق القطاع لحماية المياه الجوفية من التلوث، ونفذ الإتحاد بالتعاون مع المجلس الإقتصادي الفلسطيني للتنمية والإعمار (بكدار) حملة تنظيف واسعة للمناطق الزراعية في رفح وخان يونس وغزة شملت جمع المخلفات الزراعية واتلافها، وغيرها من الأعمال وقدمت العمل لـ ٦٠ عاملاً لفترة ثلاثة أشهر.

إضافة لمشاريع أخرى في مجال حماية البيئة كمشروع إعادة الإستخدام للمخلفات الزراعية ومشروع التعقيم الحراري.

ثانياً: استصلاح الأراضي وشق الطرق الزراعية: يعتبر هذا المجال من أهم أنشطة الإتحاد كونه يصب بشكل مباشر في مقاومة الإستيطان الذي تضاعف في ظل اتفاقات أوسلو في محاولة اسرائيلية لتكريس وقائع جديدة على الأرض خاصة في الضفة الغربية تمهيداً لمفاوضات المرحلة النهائية.

وفي هذا الإطار نفذ الإتحاد مشاريع في الضفة والقطاع استهدفت توفير الدعم والإسناد للمزارعين والفلاحين لتمكينهم من الصمود في أرضهم والدفاع عنها من خطر المصادرة والعمل على الوصول إلى الأمن الغذائي لهؤلاء، وكذلك إدخال مزروعات جديدة متنوعة لمساعدة المزارع على زيادة دخله، والمساهمة في خلق فرص عمل جديدة مؤقتة ودائمة وتحفيز المزارع الفلسطيني على العمل في أرضه بدلاً من العمل في المشاريع الإسرائيلية وبلغ عدد المستفيدين من البرنامج في الضفة حوالي ١١٢٧ مزارعاً.

ثالثاً: البرامج الخدماتية: وهي برامج تهدف إلى رفد الإتحاد ببعض المساهمات لتغطية مصاريفه ومساعدة المزارعين وتوفير

يعتبر القطاع الزراعي من أهم القطاعات الإقتصادية في الأراضي الفلسطينية ويعتمد ما نسبته ٤٥٪ من مواطني الضفة والقطاع في معيشتهم على الزراعة فيما يساهم هذا القطاع بـ ٢٠٪ من الناتج المحلي، وبنفس الوقت يشغل ٢٠٪ من القوى العاملة، أي ما يقارب ٦٥ ألف عامل.

ومنذ اللحظة الأولى للإحتلال عام ١٩٦٧ شهد قطاع الزراعة تدهوراً كبيراً نتيجة لحملات المصادرة التي شملت ٦٢٪ من أراضي الضفة والقطاع حيث تشكل الأراضي الزراعية حوالي ٣٤٪ من مجموع مساحة الضفة والقطاع البالغة ٦٤٤٥كم٢ وفي نفس الوقت تسيطر اسرائيل على حوالي ٨٥٪ من مصادر المياه في الضفة والقطاع.

ميزانية الإتحاد

السنة	الواردات	المصروفات	الفرع
١٩٩٦	$٤٨٨٩١٠	$٣٣٨٧٦٨	غزة
١٩٩٧	$٣٥٢٥٥٨	$٤٥٥٦٤٤	غزة
١٩٩٦	$٥٨٥٩٣٥	$٥٤٩٠٥٢	الضفة
١٩٩٧	$٨١٦٩٩٩	$٨٠١١٨٥	الضفة

طلباتهم بأسعار معقولة وفي هذا السياق تم تأسيس عدة مشاتل: أولها خان يونس منذ العام ١٩٩٢ وهو يخدم المنطقة الجنوبية في قطاع غزة ويعمل به مهندس زراعي و٤ فنيين، ثم مشتل بيت لاهيا النموذجي وأنشىء عام ١٩٩٦ وهو مركز إرشادي يخدم شمال غزة بفريق عمل مشابه ويحتوي قاعة محاضرات، وهناك مشتل طول كرم منذ ١٩٩٢ وهو مركز لتدريب المهندسين الزراعيين حديثي التخرج، ومشتل جنين منذ ١٩٩٢ للزيتون البري والمركب واللوزيات، ويملك الاتحاد محطتي تراكتورات في بيت حانون وخان يونس يهدف تقديم الخدمات للمزارعين بأسعار معقولة والمساهمة في واردات الإتحاد المالية وتشغيل عدد من العاطلين عن العمل.

متوسط مصادر الإيرادات خلال عامين في فرعي الإتحاد عن مجمل الميزانية:

١ـ مساهمات المجتمع المحلي وتبرعات أخرى	٢٢,٥٪
٢ـ مؤسسات غير حكومية داخلية وخارجية	٥٨,٢٪
٣ـ مشاريع الإتحاد	٢٠٪
٤ـ قروض	٢٪

متوسط حصة المشاريع المختلفة في غزة من الميزانية خلال عامين:

١ـ مشروع التطوير الزراعي	٣٩,٥٪
٢ـ مشاريع أخرى مباشرة	١١٪
٣ـ مشاريع الإتحاد	٢٣٪
٤ـ مصروفات إدارية	١٣٪
٥ـ استثمارات	١٣,٥٪

متوسط حصة المشاريع المختلفة في الضفة من الميزانية خلال عامين:

١ـ آبار زراعية	٣٣٪
٢ـ استصلاح أراضٍ	٢٥,٥٪
٣ـ طرق زراعية	٢١٪
٤ـ مشاريع الإتحاد	٩٪
٥ـ تدريب زراعي	٣٪
٦ـ مصاريف إدارية	٩,٥٪

وفي سياق التصدي لممارسات الإغلاق الإسرائيلية ولحماية المنتجات الزراعية الفلسطينية أقام الإتحاد ثلاجتين كبيرتين: الأولى في جنوب القطاع والثانية في شماله جاهزتين للعمل منذ مطلع العام ١٩٩٨.

ويعمل الإتحاد على برنامج تطوير وتصدير زيت الزيتون الممتاز وقطع خطوات في هذا المجال حيث تمكن عام ١٩٩٧ من تصدير عشرة أطنان إلى سويسرا معبأة في زجاجات.



رابعاً: برنامج التنمية الريفية المتكاملة وهو مشروع ضخم يستهدف توظيف الطاقات للوصول إلى تنمية متكاملة في الريف الفلسطيني سيما على صعيد القطاع النسوي.

١ـ مشروع تعاونية عبسان الصغيرة: وتضم خمس سيدات دربن على صناعات عدة.

٢ـ الدجاج البياض: بالتعاون مع مؤسسة انقاذ الطفل ووزارة الزراعة نظم الإتحاد دورة تدريبية لتربية الدجاج البياض في قرى شرق غزة شارك فيها ٢٥ سيدة ووزع الإتحاد ٣٠ دجاجة لكل مشاركة مع الإشراف الميداني المستمر.

٣ـ دورات الكمبوست: لمعالجة النفايات المنزلية واستفاد منها خمسون سيدة في قرى شرق خان يونس.

٤ـ الأعشاب الطبية: لتطوير مشاركة المرأة في عملية التنمية، وبالتعاون مع وزارة الزراعة ومؤسسة انقاذ الطفل، درب الإتحاد ٢٥ سيدة في قطاع غزة لزراعة الأعشاب الطبية ووزع ٣٠ ألف شتلة ميرامية وزعتر، وفي الضفة بوشر تنفيذ هذا المشروع في قرية رامين من خلال ١٦ سيدة لزراعة ما مجموعه ٣٠ دونماً كما وزع الإتحاد ٤٦٥٠٠ شتلة زعتر.

٥ـ برنامج من طفل إلى طفل: وهو يهدف لزرع روح التعاون والتفاعل بين الأطفال ورفع وعيهم البيئي وتطوير قدرتهم على الإبتكار والإبداع والمحافظة على بيئة سليمة، وقام الإتحاد بتدريب ٢٥ طفلاً في عبسان في غزة وشرع تنفيذ برنامج مماثل في جنوب الضفة.

خامساً: العلاقات العامة:

١ـ العلاقات الخارجية: أقام الإتحاد علاقات جيدة مع مؤسسات التمويل الخارجية مما ساعده في تنفيذ مشاريعه، إلا أنه رغم ذلك بقي التمويل شحيحاً نظراً للسياسات المتبعة لدى العديد من المؤسسات الدولية غير الحكومية خصوصاً تلك التي يعتمد تمويلها بنسبة كبيرة على حكومات بلدانها، يضاف إلى ذلك نشوء السلطة الوطنية الفلسطينية وتحول جزء كبير من التمويل الخارجي إليها، ويحصل الإتحاد على الدعم من عدة مؤسسات دولية أهمها إضافة لما ذكر في السياق: المانونايت، خدمات الإنقاذ الكاثوليكية، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، المركز الياباني التطوعي، كندا فند، مؤسسة النداء الفلسطيني، السوق الأوروبية، سفارات كندا وهولندا وفرنسا ومؤسسات أخرى.

٢ـ العلاقات الداخلية: أقام الإتحاد علاقات تنسيق وتعاون مع مختلف المؤسسات التنموية العاملة في فلسطين سواء الحكومية أو غير الحكومية، وهو عضو في لجنة التنسيق بين المؤسسات الزراعية الأهلية ومركز العمل التنموي معاً، واتحاد المزارعين الفلسطينيين، والإتحاد عضو كذلك في شبكة المنظمات الأهلية في فلسطين.

سادساً: خطة عمل الإتحاد للأعوام ١٩٩٨-٢٠٠٠. تعتمد خطة العمل على الأهداف الإستراتيجية.

أ- دعم وإسناد المزارعين في إطار التمسك بالأرض والدفاع عنها أمام خطر الإستيطان عبر الإستصلاح والزراعة.

ب - تطوير أساليب الزراعة لزيادة الإنتاج وتحسين نوعية المنتوجات خاصة المعدة للتسويق الخارجي لتلائم مواصفات الأسواق العالمية.

ج - البحث عن أسواق بديلة لمنتوجات الزيتون خاصة الزيت.

د - رفع مستوى الوعي لدى المزارعين عن طريق الإرشاد والتثقيف وتدريبهم على استخدام الطرق الزراعية الحديثة التي تكفل زيادة الإنتاج وتقليص التكاليف.

* عن تقرير عامي ١٩٩٦-١٩٩٧ الصادر عن اتحاد لجان العمل الزراعي في الضفة والقطاع.

الحرب الصامتة على الفلسطينيين

الإعتداء على الحق في الحياة

حلقة (٢)

ماهر دسوقي

المستوطنات والخطر المتعدد:

شكلت المستوطنات الصهيونية مشكلة مركبة، تتعدى كونها تقف على أراض مصادرة، لتصل مخاطرها إلى عناوين مختلفة أولاً، وأبرزها إغراق الأراضي الفلسطينية والزراعية تحديداً بالمياه العادمة والملوثة، وكونها ثانياً مركزاً ضخماً لتوريد السموم إلى الأسواق الفلسطينية، حيث خصصت «خطوط انتاج» لإعادة تغليف وتزويد المنتجات غير الصالحة للإستخدام الأدمي، كما هي وتعتبر ثالثاً مركزاً مميزاً لتسريب المبيدات الحشرية الضارة للبيئة، والزراعة والصحة الفلسطينية، ولنا وقفة مع ذلك كله.

المياه العادمة والملوثة للبيئة الفلسطينية:

المياه العادمة والملوثة: تشمل مياه الصرف الصحي، ومياه المصانع المختلفة والمتبقيات الكيماوية، وتتسرب هذه المياه من نقاط الإستيطان المختلفة وخاصة الكبيرة منها أوالتي أصبحت بمثابة مراكز سكانية وتجارية وصناعية «مميزة» على الأراضي الفلسطينية المصادرة، وحيث أن معظم المستوطنات تقع على أكتاف الجبال والمرتفعات والمناطق العالية عموماً من الأراضي الفلسطينية فإن حركة الإنسياب من هناك يومية أيضاً، ويتعدى خطر تلك المياه العادمة والملوثة تلويث البيئة ليصل إلى حدود تلويث الزراعة الفلسطينية والتدمير المقصود للتربة الزراعية، والإضرار بالثروة الحيوانية، وتدمير المحاصيل الزراعية، وكذلك الإضرار بصحة المواطن الفلسطيني، وأبعد من ذلك كله فإن الخطر مازال كامناً من حيث تلويث المخزن الجوفي للمياه الفلسطينية. ويمكن هنا الإشارة إلى بعض المستوطنات والمناطق الفلسطينية المتضررة على سبيل المثال لا الحصر كما في الجدول رقم (١)

ويمكن الإضافة هنا أن الخطر يشمل الكسارات الإسرائيلية الضخمة القريبة من القرى الفلسطينية والأراضي الزراعية التي أخذت تتصحر بالتدريج، إضافة إلى قيام المستوطنين بدفن نفايات مجهولة الهوية في أراضي يطا - قرب الخليل. أو مصادرة من سكان القرى الفلسطينية كما هو الحال مع أراضي جينعا فوط في منطقة نابلس. هذا بالإضافة إلى تجميع السماد العضوي قرب القرى الفلسطينية كما هو الحال مع قرية العوجا/ أريحا، وهناك الكثير للحديث عنه في هذا المجال.

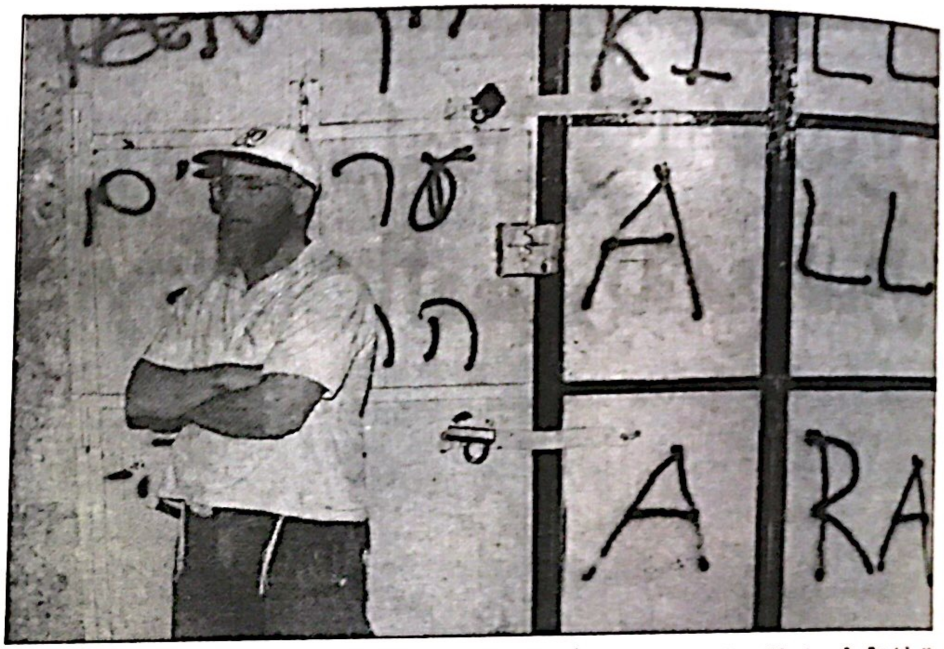
المواد الغذائية الفاسدة وغير الصالحة للإستخدام الأدمي:

لم يعد سراً الآن بخلاف السنوات الأولى لبداية عمل لجنة حماية المستهلك الفلسطينية، إن المستوطنات تعتبر بؤرة ضخمة لإدخال أو تهريب «السموم» إلى الأسواق الفلسطينية، وتتنوع هذه «السموم» بتنوع المواد التي تدخل الأسواق المحلية الفلسطينية، فهي تشمل غذاء الأطفال بالدرجة الاساسية، والمواد الغذائية البديلة - المثلجات - والأسماك المجمدة، والمعلبات المختلفة وما شابه. بالإضافة إلى أنواع مختلفة من زيوت القلي (الذرة) خاصة تلك التي سبق وأن استخدمت في المصانع الصهيونية وأصبحت غير صالحة للإستخدام وتهدد بالإصابة بالسرطان خاصة بعد تعرضها لدرجات حرارة عالية؟!

لقد جاءت شهادات مختلفة من قبل عدد كبير من العمال الذين أجبرتهم ظروفهم الصعبة لتؤكد ما كانت توصلت إليه اللجنة منذ سنوات، وتشير شهادات العمال المشفوعة بالقسم إن العديد من المستوطنات تشكل بؤراً ضخمة لتهريب السموم للأسواق الفلسطينية وأكثر من ذلك تعرض الكثير من العمال لمساومات وإغراءات وتقديم تسهيلات

المستوطنة	المناطق الفلسطينية المتضررة
كريات أربع	أراضي محافظة (الخليل)
شمعة عتنائيل	منطقة السيل (الخليل)
بيطار	قرية نحالين (بيت لحم)
دانيال	قرية الخضر (بيت لحم)
إفرات	قرية الخضر(بيت لحم)
بركان	قرية بروفين (نابلس)
فيرد	مخيم عقبة جد (اريحا)
الفيه منشية	قلقيلية
عيلي	كفر الديك، دير بلوط (طولكرم)
عمانوئيل	وادي قانة
الخان الأحمر	بيت لحم
بسجوت	البيرة
جفعات زئيف	قرى شمال غرب القدس
حلميش	قرية النبي صالح رام الله

جدول رقم (١)



للمشاركة في إدخال السموم إلى الأسواق للحلبة الفلسطينية، كما وعرض عليهم إمكانية الحصول على تنقلات سهلة وعربات خاصة لذلك وهذه المستوطنات على امتداد الأراضي الفلسطينية المصادرة.

وما يميز الأمر هنا للمتتبع أو الباحث، وجود تخصص، ففي شهر رمضان، يتم التركيز على المواد التي يكون استهلاكها خاصة التمور التي يفيد تناولها قبل البدء بالإفطار من السنن الحبذة المنقولة عن الرسول الكريم.

وفي أجواء عيد الأضحى يتم التركيز على اللحوم الفاسدة أو المريضة بما فيها قطعان من الأبقار والأغنام، وذلك في ظل غياب الرقابة المركزية على عمليات ذبح الأضاحي. ويمكن الحديث هنا أيضاً عن البيض الفاسد، والدواجن الفاسدة المصابة بأمراض مختلفة حيث يتم تهريبها إلى الأسواق الفلسطينية ليقوم البعض المتعاون مع الإحتلال أو من غاب ضميره بترويجها في الأسواق الفلسطينية محدثاً الدمار تلو الدمار على الصحة والإقتصاد الفلسطيني.

وفي حادثة مميزة لأحد المتعاونين والذي لقي مصرعه في بداية التسعينات، وعرف بعدائه المطلق لكل ما هو وطني، وسهل عمليات تزوير بيع الأراضي للمحتل، وطارد وقتل الوطنيين المطلوبين في منطقة طولكرم ـ نابلس ـ قلقيلية، وكان دعم حزب الليكود في حملته الإنتخابية عام ١٩٨٨م والمعروف باسم أحمد عودة، كانت له أيضاً مهمة أخرى لاتقل خطراً وهي اعادة تعبئة الزيوت الفاسدة القادمة من المصانع الصهيونية وعبر شبكة من عملائه بتوزيعها لاحقاً في أسواق الضفة وبأسعار منافسة ليضمن الإقبال عليها من قبل المواطنين الذين يخضعون لحالة من الحصار الدائم، ويفرض عليهم الجوع، والبطالة، الأمر الذي يدفعهم للبحث عن بدائل غذائية أقل تكلفة دائماً.

وذات الأمر ينطبق على مجموعة من العملاء ضبطت متلبسة في العام ١٩٩٥ في جنوب الضفة الغربية، وهي تسوق رؤوساً من الأبقار والأغنام التي كان مصدرها مستوطني الخليل، وصهاينة من منطقة عسقلان، حيث كانت تلك الرؤوس من الحيوانات مشبعة بالهرمونات المسرطنة وعن سبق إصرار كما أفاد من ضبطت بحوزتهم تلك الحيوانات، واعترفوا أنهم يقومون بهذه المهمة منذ سنوات؟!

لن نقف طويلاً عند هذا الجانب خاصة وأنه يحتاج كما العناوين السابقة لبحث ودراسة طويلة، ولكن يمكن الإشارة هنا إلى أن العديد من المزارعين كانوا قدموا العديد من الشكاوى قبل عام تقريباً، يذكرون فيها ما كان قد حصل معهم في سنوات مضت، وإثر رش مزروعاتهم بمبيد «احترقت» محاصيلهم ذبلت تماماً وأصبحت عبارة عن كومة من اللاشيء وعند فحص تلك المادة تبين أن المحتوى ليس له أية علاقة بالعناوين الخارجية، وتحول مبيد العناكب المفترض إلى مبيد للمزروعات ويحمل السم «240» وهي نفس المادة التي استخدمتها CIA في حربها ضد الفيتكونغ في فيتنام، لإبادة الأحراش والمزروعات الطويلة ليتسنى لهم رؤية الثوار، وقد نجحت هذه التجربة هناك، وهي تجرب على الأرض الفلسطينية للقضاء على المحاصيل، وبالتالي هجرة الأرض وتسهيل عملية مصادرتها لاحقاً؟!

وبالإمكان استعراض بعض المبيدات التي تتسرب من المستوطنات والأسواق الصهيونية إلى المزارعين الفلسطينيين والتي حظر استخدامها دولياً أو منح (تقييد) على الإستخدام كما في الجدول رقم (٣).

والقائمة طويلة أيضاً في هذا المجال، وقد نقوم بتخصيص مواد خاصة عن كل موضوع، المياه العادمة، المواد الفاسدة، والمبيدات، مع

جدول خاص ببعض المستوطنات والمناطق المتضررة

اسم المستوطنة	المناطق المتضررة
بركان	أسواق شمال الضفة
أرئيل ـ تجمع ضخم ـ	أرجاء مختلفة من الضفة
الخان الأحمر ـ تجمع ضخم ـ	أرجاء مختلفة من الضفة
الفيه منشيه	قلقيلية وقرى المحافظة
كريات أربع ـ تجمع ضخم ـ	الخليل ومناطق جنوب الضفة

المناطق الصناعية الصهيونية:

أ ـ حاجز ايرز (معبر بيت حانون)	قطاع غزة
ب ـ المنطقة الصناعية قلندية (عطرون)	رام الله والضفة
ج ـ المناطق الصناعية القريبة من الخط الأخضر	القرى الحدودية الفلسطينية الأسواق الفرعية)

جدول رقم (٢)

التركيز على كل قضية على حده. والثابت علمياً وفق المعطيات المتعلقة بالأشكال الثلاثة أنها تسبب أمراضاً خطيرة، وتستنزف الجسد، وقد تؤثر أيضاً على التكوينات الجينية وتشوه الولادات القادمة. ويبقى أن نشير هنا، أن نسبة الإصابة بالسرطان في بلادنا هي من أعلى النسب في العالم قياساً مع عدد السكان وفقاً لمعطيات منظمات صحية محلية، واقليمية ودولية، وأكثر من ذلك فإن السرطان يحصد سنوياً ما يزيد عن ٧٥٠ حالة وفاة، عدا عن الإستنزاف لمرضى آخرين.

وفي غياب الحالة البحثية العلمية المنظمة والميدانية لمتابعة قضايا التسمم والوفيات والأمراض المختلفة الناتجة عن الملوثات المتعددة تبقى كافة الأرقام والإحصائيات في إطار الحدود الدنيا المعروفة لنا.. إضافة إلى أن هناك بعض الأمراض التي قد تزيد فترة الحضانة بها من ١٠-٣٠ سنة كما جنون البقر على سبيل المثال، حيث ضبطت العديد من المواد القادمة من اوروبا أو بريطانيا على وجه التحديد إبان فترة الرفض والحصار كحليب ابقارها، ولحومها، أو الحلويات والسكاكر التي يدخل الحليب الملوث في تكوينها؟!

حقائق وأرقام:

اعتادت لجنة حماية المستهلك الفلسطينية كل عام أن تصدر تقريراً خاصاً يجمل نشاطاتها ومتابعاتها الميدانية المختلفة خاصة تلك التي لها علاقة بالتسمم الأمراض والوفيات إن أمكن، ولقد بدأت اللجنة بعمليات الرصد تلك منذ العام ١٩٩٣م وهي مستمرة في ذلك حتى الآن، ويجدر الإشارة إلى أن:

أ- حجم الأرقام المعلن لايغير نهائياً - ويبقى في إطار الحدود الدنيا فقط.

ب - تزايد الأرقام وتصاعدها ينم عن القدرة العليا في معرفتها وثقة المواطن باللجنة حيث يبادر للإتصال والتبليغ.

ج - الأرقام الموزعة على الضفة الغربية وقطاع غزة وتشمل الفئات العمرية المختلفة.

د - حالة الوفيات رصدت في عام واحد ١٩٩٦، ولم تتابع اللجنة خاصة وأن الأمراض الناتجة وحالات الوفاة التي تتبع وإن كان بالتدريج يحتاج إلى جهود كبيرة للربط بين المرض ومسببه وبالتالي حالة الوفاة.

ويظهر هذا الجدول بشكل واضح وملموس الزيادة بين العام ١٩٩٦-١٩٩٧، وقد بلغت ٥٥,٥٪ أي ٢٣٤٨ حالة جديدة بالأرقام.

وهذه الأرقام موزعة على محافظات غزة، نابلس، رام الله، وتتركز أكثر في المخيمات والأرياف، والمناطق الشعبية، التي لها حصة الأسد عموماً.

أما الأطفال فهم الفئة العمرية التي تستهدفهم تلك السموم أكثر من غيرهم. والسؤال المنطقي والتلقائي هنا، لماذا؟!

وترتسم إجابة واضحة في الأفق مفادها أن سماسرة البشر وتجار الموت البطيء بالتحالف مع مصدر تلك السموم - الأسواق الإسرائيلية - يقومون وبشكل مقصود بزرع المرض والضعف ويراكمون السموم في أجساد اطفالنا.. محولين المعركة مع الأجيال الحالية إلى معركة مفتوحة مع الأجيال القادمة أيضاً، فإذا استطاعوا حقاً «زراعة» المرض والضعف والموت البطيء في الجسد الفلسطيني القادم..

فإننا حقاً نكون قد خسرنا بدايات معركة المستقبل معهم. فهل يعقل أن تُبن الأوطان وأجساد أبنائها تملأها الثغور والأمراض؟!

ألم يصرح موشيه ديان في أواخر الستينات حول أوضاع الأسرى الفلسطينيين بما مفاده «لو قدر لهؤلاء أن يخرجوا من السجون أحياء، فستكون أجسادهم كما الجبنة السويسرية المليئة بالثقوب» وفي هذا التجسيد العنصري للعمل والفكر والممارسة تجاه الفلسطيني ما يستوجب التوقف أمامه ملياً، خاصة وأن الشعب الفلسطيني في الوطن المحتل أسير لحين التحرير المنشود؟!■■

المبيدات الحشرية المحرمة دولياً:

اسم المبيد/ التجاري	المعلومات
ماتبجان	مبيد فطري، ممنوع استخدامه دولياً، قد يؤدي للإصابة بالسرطان وإحداث تشوهات خلقية
بنلت	مبيد فطري، حظر استخدامه دولياً، قد يؤدي إلى تغيرات في الخلايا وبالتالي تشوهات خلقية.
مثيل بروميد	تعقيم التربة، حظر استخدامه يلوث المياه الجوفية ويقتل الكائنات الحية النافعة في التربة.
مارشال	حظر استخدامه وقيد ببعض الدول بسبب الآثار البيئية والصحية السيئة.
التامروث	مبيد حشري، سام جداً حظر استخدامه تماماً في الصين ومصر والعديد من دول العالم
الفاوتشو	مبيد حشري، حظر استخدامه في العديد من دول العالم، بسبب احتمالية السرطنة البطيئة للمستهلك.

جدول رقم (٣)

عدد حالات التسمم منذ العام ١٩٩٣ حتى نهاية ١٩٩٧

العام	مجمل الحالات	عدد الأطفال	نسبة الأطفال
١٩٩٣م	٨٦٠	٥٣٣	٦٢٪
١٩٩٤م	٩٨١	٦٣٨	٦٥٪
١٩٩٥م	١١٦٥	٦٤١	٥٥٪
١٩٩٦م	١٨٨٦	٩٨١	٥٢٪
١٩٩٧م	٤٢٣٣	٢٢٤٣	٥٣٪

جدول رقم (٤)

اتحاد الشباب التقدمي الفلسطيني ينظم بطولة رياضية





في الذكرى السادسة والعشرين لإستشهاد المناضل المبدع «غسان كنفاني» وتضامناً مع شيخ المعتقلين الأسير محمد نعيرات «أبو رفعت» نظم اتحاد الشباب التقدمي الفلسطيني في يوم الجمعة ١٩٩٨/٧/٣ بطولة رياضية في كرة القدم لفرق الإتحاد الشعبية في محافظات الوطن، وقد حضر للمشاركة في البطولة ٨ فرق يمثلون اتحاد الشباب في قلقيلية وطوباس وكفل حارس ومادما وعصيرة القبلية ونابلس، واتحاد شباب مخيم العين إضافة إلى اتحاد الشباب التقدمي في أريحا.

حيث قسمت الفرق إلى مجموعتين:

المجموعة الأولى: اتحاد شباب العين واتحاد شباب نابلس وعصيرة القبلية ومأدما.

المجوعة الثانية: اتحاد شباب أريحا وطوباس وقلقيلية وكفل حارس

حيث فاز اتحاد شباب مخيم العين على عصيرة القبلية ٢-٠.

طوباس على كفل حارس ٢-١

نابلس على مأدما ٥-٠.

تعادل عزون قلقيلية - أريحا ١-١

تعادل مأدما - عصيرة ٠-٠.

كفل حارس - عزون ٣-١

نابلس - العين ١-٠.

أريحا - طوباس ٢-١

الدور الثاني كان بين نابلس - أريحا حيث فازت نابلس على أريحا ٣-٠

فاز العين على طوباس ١-٠.

وفي النهاية تقابل اتحاد شباب نابلس مع اتحاد الشباب في مخيم العين وانتهت بضربات الجزاء الترجيحية ٣-١ لصالح اتحاد شباب نابلس واستحق الكأس المقدم من السيد عبد الرحيم ملوح عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية.

والمرتبة الثانية لإتحاد شباب مخيم العين وحاز حارس المرمى ثائر بركات من اتحاد الشباب التقدمي في مخيم العين على جائزة أحسن حارس.

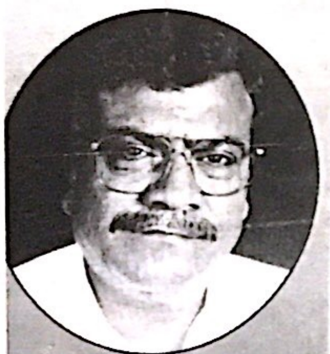
كما حصل اللاعب محمد صابر من اتحاد شباب نابلس على جائزة أحسن هداف، وبرز من اللاعبين نظام وجميل من كفل حارس. ويونس وبلال من طوباس وتامر وحسان من مخيم العين وأبو عطوان وهاني وربيع من أريحا.

وفي النهاية ألقى السيد عبد الرحيم ملوح كلمة حيا فيها ذكرى استشهاد غسان كنفاني كما حيا صمود الأسرى وطالب بالإفراج السريع عن كافة الأسرى والمعتقلين بدون شروط وعلى رأسهم شيخ المعتقلين الأسير محمد نعيرات «ابو رفعت» وتقدم بالشكر إلى جميع الفرق المشاركة على ما بذلوه من أجل إحياء هذه المناسبات الوطنية.

وقد اشرف على المباريات لجنة مكونة من ناصر مطر المنسق العام لإتحاد الشباب التقدمي وعزام أبو ظريفة، وغسان أبو حنيش، وكمال طه وسليم اشتية.

كلمة رثاء

في الذكرى السنوية الأولى لرحيل القائد شحادة غنّام



عام على رحيلك الأبدي.. وعام على انبعاث روحك في أجسادنا. والحلم يكبر ويكبر. نتوخى تجسيده حقيقة تملأ الدنيا. فلا نجد سوى السراب والضياع والترف الفكري والسياسي عناوين تحاصر الواقع وتضفي عليه صبغة رمادية.

لانطمئنك كثيراً أيها الغائب. فالوضع كما تركته من نزعات التفرد بمستقبل شعب بكامله إلى الركض وراء سراب الحلول وفق رؤية الآخر المستشرس في عدائه للإنسانية.

نتذكرك اليوم لأننا نتذكر فسحة الأمل بين بريق عينيك المتوقدتين خلف نظارتك الأبدية التي حملت هموم النكبة وحملت هموم الشعب.

أيها الساكن في دمنا.. نخبرك أن رحيلك لم يكن عادياً.. فنهر الدمع الذي فاض غضباً لرحيلك الباكر، عنوان وفاء ونكران للذات في حبّك.

نم واسترح أبا عيسى فالهموم كُثر والأوجاع أثقلت كاهل المعتصمين بحبّك وحب الوطن.

نم أيها القائد.. فقد كنت رمزاً للارض والتفاني بحب فلسطين.

تأكد أننا لن نلبس الوشاح الأسود بعدك، لأن من كان طاهراً صادقاً معطاءً يستحق أن يُلبس البياض من أجله.

وداعاً وداعاً أبا عيسى..

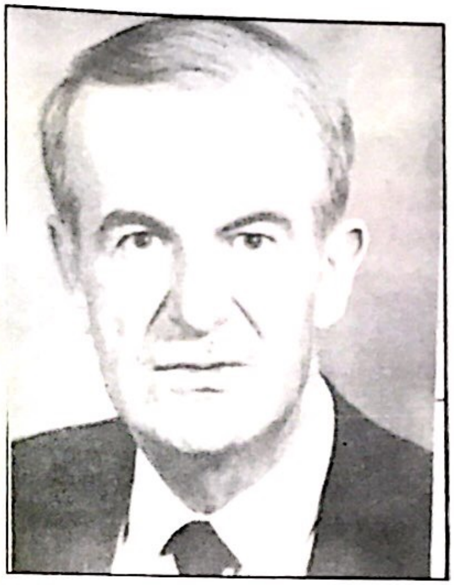
حسن غنام

زيارة الرئيس الأسد لفرنسا

أبعادها ومدلولاتها

أيمن عوض

تناولت الصحافة العربية والعالمية بأسهاب الزيارة «الحدث» للرئيس السوري حافظ الأسد لفرنسا. وإذا كانت الصحافة بكافة تلاوينها قد أجمعت على أنها تاريخية وناجحة، فإن التسمية ارتبطت بالنتائج التي تمخضت عن الزيارة والنجاحات التي حققتها في كافة المواضيع التي تم تداولها ما بين الرئيسين.





لقد حرص الجانبان السوري والفرنسي على أن تأخذ الزيارة طابعاً تاريخياً سواء من حيث التوثيق أو من حيث المواضيع التي تداولتها الزيارة.

فتوقيت الزيارة جاء في ضوء الاخفاقات التي تواجهها السياسة الأمريكية في المنطقة والتي تعاني فيها عملية السلام من اخفاقات كبيرة تكاد تودي بالعملية كاملة برمتها في الوقت الذي تصر فيه اسرائيل على ضرب كافة الجهود التي بذلت والمبذولة لاخراج عملية السلام من مأزقها الحالي والذي جاء نتيجة حتمية لسياسات العنجهية الصهيونية التي يمارسها نتنياهو وحزبه، فمنذ أن اعتلى الليكود سدة العرش في الكيان الصهيوني، بدا واضحاً للجميع وبدون أدنى شك، مدى المراوغة الاسرائيلية في الوصول لسلام عادل وشامل في المنطقة.

حيث تنصلت حكومة الليكود من كافة الالتزامات والاتفاقيات التي توصلت والتزمت بها الحكومة العمالية السابقة مع الأطراف العربية المعنية. وبدأت سعيها الدؤوب للعودة لنقطة الصفر في المفاوضات على كافة الجبهات. الأمر الذي وضع ما سمي بعملية السلام في مأزق خطير وهدد المنطقة بالعودة إلى حالة التوتر والغليان.

فالحكومة الحالية ـ الاسرائيلية ـ لم تلتزم بالحد الأدنى من الفتات الذي قدمته حكومة العمل للطرف الفلسطيني وهي تدعو سوريا للعودة لنقطة الصفر في التفاوض حول الجولان، وتحاول دق اسفين الجنوب أولاً في لبنان لاختراق الموقف اللبناني على غرار غزة ـ أريحا أولاً وفي محاولة منها لفصل المسارات عن بعضها البعض.

وفيما المأزق يزداد، يزداد أيضاً الانحياز الأمريكي السلبي في الموقف من القضايا العربية العادلة، ويتعمق التحالف مع اسرائيل على حساب العرب، الأمر الذي وضع الخيار الأمريكي في مأزق جدي وبدأ يمهد لايجاد خيار آخر يضغط على اسرائيل ويحملها مسؤولية سياسة الغطرسة والتعنت.

لقد بدا واضحاً الانزعاج الأوروبي عموماً والفرنسي بشكل خاص من الموقف الأمريكي، وبدأ العالم يتلمس تمايزاً في الموقف الفرنسي في العديد من القضايا عن الموقف الأمريكي سواء لناحية موضوع الصراع العربي ـ الاسرائيلي، أو لموضوع الحصار على العراق أو لموضوع الموقف الأمريكي من الأزمة في البلقان. وفي ضوء هذا التمايز، فإن الأساس هو في بلورة موقف أكثر صلابة واستقلالية في السياسة الفرنسية عن السياسة الأمريكية، وهناك من يقدر على ايجاد هذه الفرصة لفرنسا وأوروبا، انها سوريا، سوريا التي لا يمكن أن يكون سلاماً عادلاً وشاملاً في المنطقة بدونها.

ومن هنا كانت الزيارة.

فسوريا التي ذهبت إلى مؤتمر مدريد على أساس ورقة الضمانات الأمريكية، فهي ذهبت إلى هناك بعد أن قرأت بشكل دقيق صورة الوضع العالمي الجديد بعد انهيار وتفكك الاتحاد السوفياتي، وبعد كارثة الخليج الثانية.

وسوريا التي قرأت الوضع العالمي الجديد وفوتت الفرصة على أمريكا واسرائيل للنيل منها وفي اظهارها انها ضد العملية السلمية، فإنها حالياً استقرأت وبشكل واضح الخلافات الحادة في الرؤية الفرنسية الأمريكية وكذلك احتضار الرعاية الأمريكية للعملية السلمية في



ضوء انحيازها الكامل والمطلق لاسرائيل على حساب العرب.

وسوريا استطاعت أن تلتقط أيضاً المصلحة الأوروبية الكبيرة تجاه تحقيق السلام في الشرق الأوسط، والتمايز في الموقف الأوروبي في تأكيده على موضوع الأرض مقابل السلام في موضوع الصراع العربي الاسرائيلي.

ومهما كان من الأمر، فإن الوحيدة القادرة على اعطاء دور أكثر فعالية للموقف الفرنسي هي سوريا، حيث مازالت صبغة الجمود هي الصبغة العامة للمسار السوري الاسرائيلي واللبناني الاسرائيلي. وإذا ما قررت سوريا اعطاء دعم لأي طرف في قضية الشرق الأوسط فإنها قادرة على بلورة هذا الدعم بحكم الامكانيات والطاقات الكبيرة التي تختزنها.

من الواضح جداً وفي ظل التعنت الاسرائيلي الحالي أن الرئيس حافظ الأسد يدرك تماماً بأن الأمر لن يتوقف بالنسبة للأمريكيين في دعم الموقف الاسرائيلي، بل سيكون منصاعاً ولو بشكل نسبي لاحقاً لموقف اسرائيل، وهذا يعني أن أمريكا لن تمارس بأي شكل من الأشكال أي ضغط على اسرائيل لاجبارها على القبول بأساس العملية السلمية، ومن هنا نجد بأن الرئيس الأسد رأى المصلحة الأوروبية الكبيرة في لعب دور أكثر فعالية في العملية السلمية. سيما وأن معظم الأعباء المالية للعملية السلمية تقع على عاتق أوروبا. وهناك بعض المصادر التي تؤكد بأن أوروبا دفعت من الساعدات ما نسبته ٥٨٪ للفلسطينيين مقابل١٠٪ فقط مدفوعة من الولايات المتحدة.

ولم يكن اختيار فرنسا عبثاً من الرئيس حافظ الأسد، فهو يعرف تماماً بانه ذاهب إلى من يشاركه الرأي في موضوع الأرض مقابل السلام، والرئيس الأسد يعي تماماً أن السلام الشامل هو خيار فرنسا كما هو خيار العرب، وبالتالي فإن الزيارة قامت على أسس واضحة وجلية للجميع تتحدد أساساً في الانسحاب الاسرائيلي من أراضي عام ٦٧.

ولم تتوقف الزيارة عند حدود التنسيق السياسي في المواقف بل تجاوزت ذلك لما هو أعم وأكبر، حيث تناولت التعاون الاقتصادي ما بين الجانبين. حيث لامست المحادثات التي سبقت الزيارة العديد من المجالات الاقتصادية سواء في القطاع النفطي الذي يبدو أن الفرنسيين مهتمون فيه لجانب بناء مصفاة نفط جديدة في سوريا أو في قطاع الغزل والنسيج الذي أصبحت فيه سوريا من الدول المصدرة للقطن أو على صعيد اقامة بعض المشاريع لتجميع سيارات فرنسية في داخل سورية وكذلك توسيع شبكة السكك الحديدية في داخل القطر العربي السوري الذي ترغب فرنسا بان يكون من نصيبها وكذلك اهتمام سوريا في الحصول على عدة قروض ائتمانية لتمويل وتنفيذ مشروعات في التصنيع الزراعي. اضافة إلى قيام سوريا بشراء ست طائرات مدنية «اير باص» من فرنسا والجدير بالذكر أن الجانب الاقتصادي قد أخذ حيزاً مهماً في المحادثات ما بين الرئيسين، وبدا ذلك جلياً من تركيبة الوفد السوري المرافق للرئيس حافظ الأسد في زيارته إلى فرنسا.

إن القلق الفرنسي من تفجر الوضع في الشرق الأوسط نتيجة الموقف الاسرائيلي الساعي للقضاء على المسيرة السلمية من خلال زيادة مساحة المستوطنات وتوسيعها، ومصادرة الأراضي، ومحاولة دق اسفين جنوب لبنان أولاً في محاولة لفصل المسار السوري عن اللبناني، والطلب إلى سوريا في العودة لطاولة المفاوضات من نقطة الصفر وفي الطرح الاسرائيلي لمبدأ الأرض مقابل السلام، يوازيه رفض سوري قاطع لإضاعة الوقت في نقاش توصلوا فيه مع حكومة العمل إلى شيء أكبر من ذلك بكثير حيث قال الرئيس الأسد في حديث تلفزيوني عشية زيارته لفرنسا معيداً للاذهان المراحل التي مرت بها المفاوضات في المسار السوري الاسرائيلي إلى أن جاء «نتنياهو» حيث قال «لم يكن بيننا وبينه أي تعامل منذ مجيئه للسلطة» لأنه «يطرح طروحات لا يمكن لأحد أن يوافق عليها» واضاف الرئيس الأسد «اننا لا يمكن أن نوافق على اضاعة خمس سنوات من النقاش توصلنا فيها إلى شيء كبير جداً، هو الأهم في عملية السلام».

ومن هنا إذا ما كان خيار سوريا السلام، فإن الموقف الاسرائيلي عاد إلى نقطة البداية، الأمر الذي يرمي الكرة في الملعب الاسرائيلي.

وفي مقابل الخيار السلمي السوري هناك رؤية فرنسية إلى أن الحل لن يكون بدون سوريا.

في ضوء ما تقدم نلاحظ تاريخية الزيارة ونستطيع تلمس مدى الاختراق الذي حققته هذه الزيارة في اعادة بلورة موقف أكثر وضوحاً من جانب أوروبا تجاه قضية السلام في الشرق الأوسط. وهو ـ الاختراق ـ الذي سيضع الولايات المتحدة أمام خيارين لا ثالث لهما، وهما إما المضي في رعاية عملية السلام مع الابقاء على هامش للتحرك الأوروبي، أو قطع الطريق على هذا التحرك يدفع الأوروبيين باتجاه تحرك مستقل تماماً عن التحرك الأمريكي.

ويمكن تلمس ذلك من خلال الاهتمام الأمريكي بالزيارة وابعادها، الأمر الذي يدلل على الاهتمام والتخوف الأمريكي من الدور الذي يمكن أن تلعبه فرنسا في حال حصولها على دعم سوري، سيما وأن سوريا استطاعت أن تفرض وجوداً فرنسياً في المنطقة ومكنتها من لعب دور مهم كانت أبرز محطاته اشراكها في لجنة تفاهم نيسان، الأمر الذي كان يرفضه الأمريكان واسرائيل، ولكن في ظل الاصرار السوري تحقق هذا الدور.

فسوريا التي تمتلك مقومات الصمود قادرة على دفع دور فرنسي فاعل في الشرق الأوسط سيما وانها مدفوعة بذلك إلى قضية عادلة. وفرنسا التي تبحث عن دور وحضور أكثر فعالية في المنطقة تتوجه انظارها نحو دمشق■■

مأساة السودان

الحرب والجوع مقابل السلام والغذاء

أحمد جابر

يستمر الشعب السوداني في دفع ثمن الحرب الأهلية الباهظة الكلفة، والدائرة في جنوب السودان منذ ١٥ عاماً بين القوات الحكومية والمتمردين ممثلين بالجيش الشعبي لتحرير السودان. وإذا كانت هذه الحرب قد بدأت على خلفية حركة احتجاجية ضد الإضطهاد والتمييز والإهمال، وترك الجنوب بلا خدمات ولا دعم مادي، إضافة إلى التمييز السياسي لجهة التمثيل في الحكم وغياب العدالة في توزيع المناصب السياسية، فإنها ومع الزمن ومع تدخل أطراف كثيرة على خط الصراع تحولت إلى التلون بألوان الصراع القومي، ومن ثم رفع رايات حرب دينية تحت شعار أن هذه الحرب تقوم بين المركز الإسلامي والجنوب المسيحي والأرواحي.

ورغم هذه الشعارات إلا أنه كان واضحاً دائماً أن الرايات الدينية لم تكن سوى واجهة لهذه الحرب أخفت وراءها مطامح دولية وداخلية، حيث أن أغلبية سكان الجنوب هم من الأرواحيين وليس المسيحيين، وهؤلاء الأغلبية هم الأقل تمثلاً في حركة التمرد بل بدوا أحياناً غير مهتمين بها، إضافة إلى ذلك فإن هناك الكثير من التداخلات القبلية التي تخلق أوضاعاً معقدة للصراع الدائر، هذه التدخلات تؤثر بشكل أو بآخر على مجرى ما يحدث، وعلى أي احتمال للحرب مستقبلاً.

والحرب المستمرة في السودان وصلت على ما يبدو إلى حدودها الكارثية، عبر تضافر عوامل القتال والكوارث الطبيعية حاصدة جميعها عدداً هائلاً من السودانيين الذين لم توفرهم المجاعة إن كان قد وفرهم الرصاص والقنابل.

وهذه الكارثة التي أدت حتى الآن إلى تشريد أكثر من مليون انسان وتحويلهم إلى لاجئين، مرسخة للتفاقم في ظل تقديرات تشير إلى ارتفاع رقم المهددين بالمجاعة إلى مليونين ونصف المليون شخص وتمتد آثارها جغرافياً لتصل إلى مختلف أنحاء البلاد وخصوصاً العاصمة الخرطوم، المحاطة بأحزمة البؤس جراء تدفق اللاجئين من الجنوب، وتعكس الكارثة نفسها رقمياً في تقرير منظمة أطباء بلا حدود حيث يشير أن ١٢٠ شخصاً يموتون يومياً من أصل ١٧٥٠٠ شخص في دائرة شعاعها خمسة كيلومترات، وارتفعت نسبة الضحايا من ١٨ لكل عشرة آلاف إلى ٧٠ لكل عشرة آلاف، بينما ارتفعت نسبة الأطفال ممن هم أقل من خمس سنوات عن ٣٢ حالة وفاة لكل عشرة آلاف إلى ١٣٢ لكل عشرة آلاف.



في ظل هذه الأوضاع المأساوية تتداخل العوامل السياسية والإنسانية حيث أن أي تفكير أو تقييم للوضع لابد أن يضع بعين



الإعتبار الثنائية التي تطحن الشعب السوداني ثنائية الحرب والجوع، على أساس الترابط الجدلي بين العنوانين، حيث لاجدوى من الفصل بينهما (كما يحاول الجيش المتمرد) وإن أي حديث عن أنهاء المجاعة والتصدي لها لابد أن يأتي من الحديث عن السلام وإحلال الهدوء والأمن في البلاد، وإذا كان الحل التقليدي للتصدي للحرب المفتوحة التي تشنها الطبيعة هو تقديم الإغاثات والمعونات إلا أنه يبقى حلاً قاصراً وعاجزاً إن لم يكن مسبوقاً بايقاف الحرب التي تعيق بشكل كبير الاعدادات بل وتدمر عمليات الإغاثة خصوصاً في ظل تصاعد الإتهامات عن ممثلي الإغاثةالدولية ضد الجانبين بانهم يستولون على المساعدات أو يعرقلون وصولها، وجاءت هذه الإتهامات على شكل انتقادات لاذعة حين صرح أحد موظفي الإغاثةأن قادة المتمردين يعيشون في أجواء مريحة في كينيا، فيما حولت المجاعة سكان المناطق الخاضعة لسيطرتهم إلى ما يشبه الهياكل العظمية.. وكذلك ما صرحت به كارول بيلامين رئيسة صندوق الأمم المتحدة لرعاية وتعليم الأطفال يونيسيف، من أن الجيش والمتمردين يسرقون الأغذية وأن الخلل في عمليات الإغاثة يطرح أسئلة حقيقية حول المستقر النهائي للمساعدات.

هذا الكلام يشير إلى حتمية إنهاء الحرب إذا أريد التصدي للمجاعة، ولكن هذه ليست كل الحكاية، فإذا كانت ثمة عوامل داخلية حقيقية في تأخير إرسال المساعدات وتأمين الدعم للناس في المناطق المنكوبة، إلا أننا لانستطيع أن ننسى دور الأطراف الخارجية وخصوصاً الغربية التي لعبت دورها في لعبة الموت، عبر تغذية الصراع، ودفعه للتأزم مدفوعة بطموحات السيطرة على ثروات الجنوب ونهبها وإعادة النفوذ إلى شرقي القارة، فقامت بدعم وتشجيع حركة التمرد لطرح شعارات الإنفصال، وتقديم الدعم لها مماجعلها تنكص عن أي اتفاق محتمل وترفض بشكل مستمر أي فرص للحل.

إضافة لحالة الحصار والعقوبات المفروضة على السودان والتي تشكل حرباً ثانية يخوضها هذا البلد.

من جهة أخرى يتحمل العرب بدورهم مسؤولية كبيرة بامتناعهم عن لعب دور فاعل وايجابي جدي وترك السودان منذ البداية نهباً للاطماع والصراعات وكأنه ليس بلداً عربياً يحتاج لدعم ومساندة الأشقاء.

وإذا كان المطلوب الآن للتصدي للكارثة رفع مستوى المعونات وتسهيل وصولها فإنه في مقابل ثنائية الحرب والجوع، لايمكن أن تكون هناك سوى ثنائية نقيضة هي ثنائية السلام والغذاء.

إن فرصة وقف اطلاق النار والذهاب إلى المفاوضات ستضع اللبنة الأولى لحل المشاكل المستعصية وخصوصاً نقاط الخلاف الرئيسية بين الدولة والمتمردين وأهمها موضوع الدين والدولة، وفكرة الإنفصال وتقرير المصير للجنوب.

بالنسبة للموضوع الأول فهناك ثلاث صيغ طرحت وحققت جدلاً ونسباً مختلفة من القبول والرفض، أولها فكرة إقامة نظام علماني، وهذه كانت أحد مطالب الجنوبيين وأطراف من المعارضة، على أساس فصل الدين عن الدولة، وهو اقتراح لم يلق قبولاً لدى النظام في الخرطوم، ثم إقامة دولة اسلامية وهو ما يمثله مشروع النظام، ثم الصيغة التوافقية التي طرحتها الحكومة، وهي تقوم على تطبيق الشريعة حسب الولايات وترك الجنوب يقرر نظامه القانوني حسب الوضع فيه، وتبدو هذه الفكرة جديدة بالوقوف أمامها لأنها الأكثر قابلية لأن تحظى برضى الأطراف المختلفة في السودان وخارجه ايضاً، وبنفس الوقت يحقق التوازن وتحافظ على وحدة السودان ولكن ثمة سيناريو آخر مطروح وهي فكرة الإنفصال التي وجدت دعماً لها لدى قوى خارجية مختلفة وتبناها غارانغ قائد التمرد ولكن ثمة عوائق جدية سياسية وقبلية ستعرقل هذا الخيار وستسبب له مشاكل حقيقية، إن هذا يعيدنا إلى ضرورة التمسك بالفرصة المتاحة حالياً، أي الذهاب إلى المفاوضات والعمل على حل المشكلة المستعصية بدون سلاح، إن هذه الفرصة برأينا توفر الشروط الملائمة لتحقيق هذه الثنائية في ظل اعلان الحكومة وقف إطلاق النار واقتراحها أن يتحول هذا الوقف إلى هدنة دائمة وأعتقد أن ثمة فرصة جيدة الآن وإن كانت تكراراً لفرص سابقة التي على الطرفين استثمارها لوصول إلى اتفاق يؤدي إلى إلقاء السلاح وانقاذاً لهما في آن، ولكنه في نفس الوقت يعني انقاذ السودان بلداً موحداً وسيداً على نفسه وانقاذ شعب السودان الذي هو أكبر الضحايا حتى الآن إن لم يكن الضحية الوحيدة.

أخيراً إن أي سيناريو للحل يجب أن يكون نابعاً من داخل السودان وإرادة شعبه دون أي تدخل خارجي، حتى تزول وصمة الجوع عن سلة غذاء العالم العربي، واي خيار آخر هو خيار انتحاري للجميع وسيواصل شعب السودان دفع الثمن دماً ومعاناة، وهو خيار لايريده ولايتمناه أحد لهذا البلد العربي■■

الاتفاق على إعادة تشغيل أنبوب النفط السوري ـ العراقي والاعتراض الأمريكي

عصام سلامة

تقدمت العلاقات بين سوريا والعراق خطوة أخرى إلى الأمام عندما اتفق الطرفان في منتصف شهر تموز الماضي على إعادة تشغيل خط النفط الذي يمتد من حقول كركوك في شمال العراق إلى ميناء بانياس على الساحل السوري، والذي أغلق منذ بداية الثمانينات..

وقد أعلن ذلك وزير النفط العراقي عامر محمد رشيد بعد محادثات أجراها في دمشق مع نظيره السوري محمد ماهر جمال، وقال رشيد لـ«رويتر» أن الضخ سيبدأ بمعدل أولي قدره ٣٠٠ ألف برميل يومياً.

وأكد رشيد أن إعادة الضخ لن يحتاج إلى موافقة من (لجنة العقوبات) التابعة للأمم المتحدة وذلك «نظراً لأن الأمم المتحدة وافقت في قرارات سابقة على إقرار الموانئ السورية كنقاط للتصدير والإستيراد الخاص بالعراق، حسب الإتفاق الذي وقع بين العراق والأمم المتحدة في آذار عام ١٩٩٦ (النفط مقابل الغذاء).

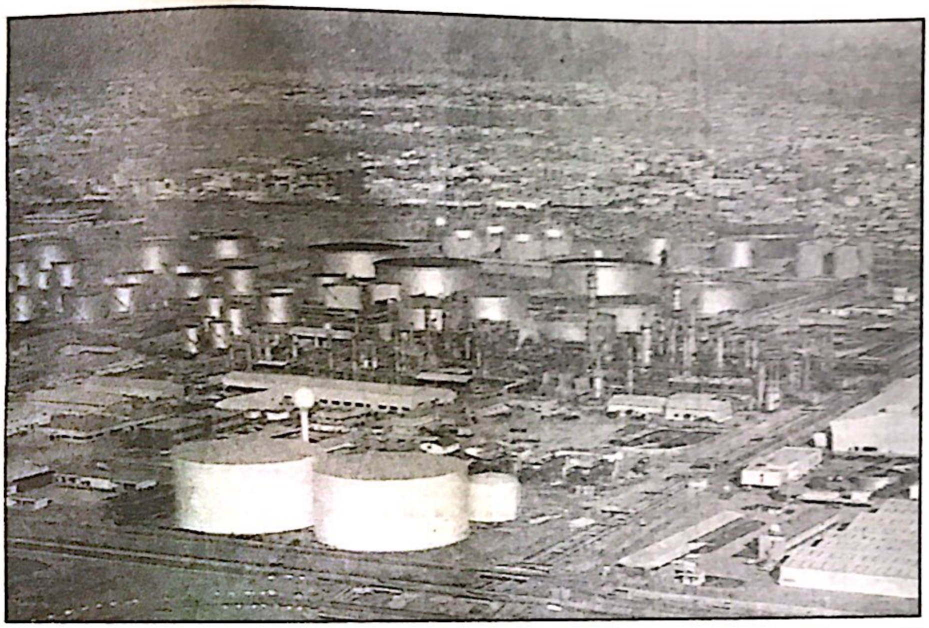
كما اتفق الطرفان السوري والعراقي على بناء خط جديد لنقل النفط العراقي للبحر المتوسط وكذلك بناء مصفاة لتكرير النفط في ميناء بانياس بطاقة تبلغ ١٤٠ ألف برميل يومياً، وذلك برأسمال سوري ـ عراقي مشترك.

وقد لقيت هذه الخطوة ترحيباً حاراً في العديد من الدول العربية والأوساط الوطنية لما له من انعكاسات ايجابية على الشعبين السوري والعراقي وتصب في مصلحة البلدين وتوطد وتعزز من جهة أخرى التضامن العربي خدمة للمصلحة الوطنية والقومية.

الولايات المتحدة الأمريكية عبّرت صراحة في معارضتها معلنة رفضها استئناف ضخ النفط العراقي عبر سوريا، متذرعة بأن ذلك يحتاج إلى موافقة مجلس الأمن الدولي.

وأكد مسؤول في وزارة الخارجية الأمريكية. أن الإعتراض الأميركي لايتعلق فقط بمسائل إجرائية، أي موافقة مجلس الأمن، بل بمسائل أكثر جوهرية، وأن الإدارة الأمريكية تفضل حالياً منع أي صادرات للنفط العراقي عبر سوريا؟!.

وقد أبدت سوريا انزعاجها الشديد من الموقف الأميركي المعترض على اتفاق ضخ النفط العراقي عبر الموانئ السورية وأوضحت أن الإعتراض



الأميركي غير مبرر وغير مقبول لأنه يناقض ما سبق لمجلس الأمن الدولي أن أقره بشأن مبيعات النفط العراقي عبر موانئ تركية وعراقية وسورية.

وقد سبق لسوريا أن استقبلت في دمشق بعض المسؤولين العراقيين بهدف تحسين وتطوير العلاقات التجارية بين البلدين كمساهمة منها في تخفيف العبء الإقتصادي عن الشعب العراقي الذي يعاني من نقص حاد في الدواء والغذاء والعمل على تأمين الحد الأدنى من احتياجاته الضرورية.

وعند حدوث ما يسمى بأزمة التفتيش عن أسلحة الدمار الشامل بين العراق والأمم المتحدة منذ عدة أشهر، والتي قادت وتزعمت هذه الحملة الإدارة الأمريكية آنذاك مهددة باستعمال القوة العسكرية لإرغام العراق على الإنصياع للشروط الأميركية المجحفة والمذلة التي تبنتها «لجنة التفتيش الدولية» بإيعاز وتحريض من الحكومة الأميركية، وقفت سوريا وقفة شجاعة إلى جانب العراق وذلك بإعلان موقفها الواضح والصريح بضرورة استعمال الطرق الدبلوماسية وضد اللجوء إلى القوة العسكرية واتضح ذلك من خلال استقبال دمشق لوزير الخارجية العراقي محمد سعيد الصحاف أثناء جولة قام بها في الدول العربية بهدف كسب التأييد للعراق.

وجاء الإتفاق الأخير بين سوريا والعراق حول إعادة تشغيل خط النفط كخطوة متقدمة على طريق تعزيز العلاقات الأخوية بينهما. كما جدد وزير الخارجية العراقي دعوة الدول العربية لمساندة الجهود الرامية لرفع الحصار الدولي الذي فرضته الأمم المتحدة على العراق منذ ثماني سنوات.

وأكدت صحيفة «الإتحاد» العراقية، أن العمل جار لإعادة تأهيل (مركز تجاري عراقي) في دمشق تمهيداً لإعادة فتحه، وذلك بعد اتفاق على إعادة فتح مركز تجاري سوري في بغداد.

إن قرار العراق وسوريا إعادة تشغيل خط لأنابيب النفط المغلق منذ بداية العام ١٩٨٢م، وضع العلاقات بين البلدين على مسار سليم يمهد الطريق أمام تحسن الأجواء لتحقيق المزيد من التعاون وهو ما تطمح إليه الجماهير العربية في كل مكان لأنه سيعزز الصمود العربي خاصة في ظل سياسة التوسع والعدوان التي تمارسها إسرائيل. والتي تستهدف استمرار احتلال الأراضي الفلسطينية والعربية وتحقيق المزيد من القفزات للمشروع الصهيوني في الوطن العربي ■■

التطبيع بين الخاص والعام:

مناقشة حول الرؤية الإسرائيلية للعلاقات العربية ـ الإسرائيلية

حلقة (٢)

ماجد كيالي

الرؤية الإسرائيلية للتطبيع الاقتصادي

إمكانات إسرائيل للتطبيع مشروطة ومحدودة ليس من الناحية الثقافية والمجتمعية وإنما، أيضا، من الناحية الاقتصادية، على سبيل المثال، وعلى الرغم من رفع المسؤولين الإسرائيليين (ومنهم وزير الخارجية شمعون بيرز) لشعار السوق الشرق أوسطية»، فإن هذا الشعار يجري تسويقه لدغدغة أصحاب رؤوس الأموال على الصعيدين الدولي والإقليمي. وفي حقيقة الأمر، فإن إسرائيل ليست مهيأة بعد للدخول في سوق إقليمية شر أوسطي، لأن من بديهيات هذه السوق إزالة الحواجز أمام حركة الأشخاص والبضائع ورأس المال والأفكار وتحرير التجارة وتقليص دور الدولة في الحياة الاقتصادية. وإسرائيل تدرك أكثر من غيرها عدم قدرتها على تحمل تبعات مثل هذا التحول لانعكاساته الديمغرافية والاقتصادية والأمنية الكبيرة عليها، حتى أن إسرائيل تحاول تقليص اليد العاملة من الأراضي الفلسطينية المحتلة في مؤسساتها، وهي لا يمكن في أي حال من الأحوال، أن تسمح ببيع الأراضي التي هي ملك الدولة والوكالة اليهودية لغير اليهود، إلى غير ذلك من الأسباب.

يبقى بالنسبة إلى التطبيع الاقتصادي إن إسرائيل تركز على أربعة محاور كالآتي:

أ ـ إنشاء سلطات إقليمية لإدارة مختلف الأنشطة (أعمال وتمويل وتجارة وخدمات).

ب ـ إقامة مشروعات بنية تحتية في المجالات الأساسية (مياه وطاقة ومواصلات واتصالات).

ج ـ إقامة مشروعات تعاون اقتصادي مع بلد عربي أو أكثر، وفي النطاق الإقليمي بما في ذلك كمن علاقات تبادل تجاري وعلمي وخدماتي.

د ـ إقامة مناطق تجارة حرة بين إسرائيل والأقطار العربية المجاورة. وهذه توفر عليها الدخول في مرحلة السوق المشتركة، وتؤمن لها تبادل تجاري واستغلال يد عاملة رخيصة.

كل هذه العناصر تتضمن احتكاكا أقل بين المجتمع الإسرائيلي والمجتمعات العربية، وتضمن بقاء إسرائيل دولة يهودية ـ عنصرية ـ استيطانية في المنطقة على شكل «غيتو» يتعامل مع محيطه، والتعامل هنا يقتصر على النخب والفاعليات لذلك، فإن الحديث عن التطبيع الاقتصادي يحتاج إلى مزيد من الدراسة، كما إن الحديث عن الهيمنة الاقتصادية الإسرائيلية يفتقر إلى الدقة الموضوعية، لأن إسرائيل ليست مشروعا اقتصاديا، كما أسلفنا، ولأن قدراتها وإمكاناتها المحدودة لا تمكنها من تلبية الحاجات الاقتصادية في المنطقة، ولأن الهيمنة ستبقى من حيث الأساس للولايات المتحدة الأمريكية وللشركات كالمتعددة الجنسية. ويمكن إسرائيل فقط أن توسع سوقها وتنمي إمكاناتها، وأن تحول نفسها بنفسها.

أما استعداد إسرائيل للتطبيع الثقافي، فإنه ليس أفضل، على ما يبدو، من استعدادها للتطبيع الاقتصادي، وذلك بسبب ضعف ثقافتها والأصول المتباينة لها، وبسبب قوة ورسوخ الثقافة العربية الإسلامية في المجتمعات العربية. لذلك تجد إسرائيل نفسها غير مستعدة للدخول في نسيج الحياة العربية، وهي تفضل أن تبقى منعزلة كدولة يهودية ذات ثقافة غربية، على الذوبان في المحيط العربي ـ الإسلامي لأن هكذا وضع يعني نهايتها بشكل أو آخر.

لكي تطبع إسرائيل علاقاتها مع العرب، عليها أن تقطع مع خطابها الأيدلوجي ـ العنصري، وعليها أن تقدم تنازلات تؤثر في طبيعتها، وأن تلغي حق العودة الإسرائيلي الذي يمنح الجنسية لأي يهودي يرغب في الهجرة إلى إسرائيل؛ عليها أن تتحول إلى دولة عادية، وأن تتخلى عن كونها دولة يهودية لكل اليهود، وتاليا أن تلغي كل القوانين التمييزية التي سنتها على أساس ذلك، وأن تضمن المساواة لكل مواطنيها بكلام آخر أن تطبع إسرائيل مع جيرانها، يعني أنه يجب عليها أن تطبع مع نفسها.

ثمة جدل كبير في إسرائيل حول من هو اليهودي وحول الديمقراطية الإسرائيلية، والعلاقة مع المواطنين العرب، وماهية إسرائيل ومستقبلها: هل هي امتداد لأمريكا أم قطعة من الغرب أم أنها تنتمي للشرق الأوسط؟ ما هو موقع إسرائيل بالنسبة إلى يهود العالم، وما هي علاقتها بالدين اليهودي، وهل هي دولة علمانية، وعليه فإن السؤال المطروح بإلحاح هو كيف لإسرائيل أن تطبع مع المحيط، بالمعنى الحقيقي للكلمة، وهي لا تزال في مرحلة التساؤلات هذه؟!.

ثم بالنسبة إلى جيرانها، هل تستطيع إسرائيل أن تتعايش كدولة عادية مع البلدان المجاورة؟ دولة لا تعتبر نفسها حصنا للغرب ولا خندقا متقدما للدفاع عن مصالحه، ولا حاملة طائرات برية.الخ، هل تستطيع إسرائيل أن تتخلى عن ضمان الولايات المتحدة لأمنها وتفوقها ولمستوى رفاهية مستوطنيها، وأن تكتفي بمواردها وإمكانياتها المحدودة؟.

عند كل هذه المستويات، ومن الناحية الثقافية أيضا، يتوقع استمرار عقلية «الغيتو» لدى إسرائيل لأن هذه العقلية هي ضمان بقائها كدولة فريدة من نوعها في المنطقة؛ دولة عنصرية يهودية في أواخر القرن العشرين. ويمكن للمراقب أن يلاحظ تصاعد الدعوات لدى بعض المثقفين الإسرائيليين للتحذير من مخاطر محاكاة العرب وانفعال بعض الأدباء العبريين بهذه المحاكاة وتعبيرهم عنها في أدبهم: «من غير المقبول لنا أن نهبط المرة إلى مستوى حضارة شعوب همجية. فضلا عن أن أملنا أن نصبح السادة في هذه الأرض»[11].

هنا أيضا، التطبيع الثقافي تريده إسرائيل تطبيعا محددا ومسيطرا عليه؛ تطبيع يفترض الإقرار بوجود إسرائيل وبالعلاقة معها، إقرار بروايتها لتاريخ المنطقة ومستقبلها، إقرار بمفاهيمها لصيغ التعاون الإقليمي وللشكل المستقبلي للعلاقات العربية ـ الإسرائيلية.

في السجال الدائر حول التطبيع

في الجدل الصاخب حول التطبيع وماهيته وحدوده والموقف منه، جرت مناقشات ساخنة في الساحتين الإسرائيلية والعربية، أدلى فيها المثقفون من الجهتين بآرائهم في هذا الشأن.

من الجهة الإسرائيلية، برزت المواقف المعارضة للتطبيع من منطلق الفكر العنصري ـ الاستعلائي؛ ومن منطلق مخاطر التطبيع على طبيعة الكيان الصهيوني لذلك، فإن المفهوم الإسرائيلي للتطبيع هو مفهوم انتقائي يخدم المصالح الاستراتيجية العليا لإسرائيل، ويؤمن انخراطها في النظام الإقليمي الجديد، ويمكنها من تعزيز دورها وتحالفها الاستراتيجي مع الولايات المتحدة الأمريكية. إلى ذلك، برزت بعض الآراء لدى مثقفين إسرائيليين محسوبين على ما يسمى اليسار، ويحاولون التحدث بلغة مختلفة، أو على الأقل هكذا يبدو. وعلى سبيل المثال، يقول عاموس عوز: «إن أوجه الاتفاق بين الإسرائيليين والعرب يجب أن تكون حول الحاضر والمستقبل، وليس

ضروريا أن نقف إسرائيليين وعربا حول (...) من هو المذنب، ومن كان سبب المأساة؟ يجب أن نعتاد العيش مع روايتين مختلفتين توجد في كل منهما حقيقة غير موضوعية (...) فكل من الشعبين قد جرح الآخر، وكل من هذين الشعبين يعتبر نفسه الضحية (...) (ويحذر العرب من) الوهم الزائف أو الانطباع الخطر بأن بعض حمائم اليسار يحبونهم ويخجلون من أفعال إسرائيل إلى حد انتقاء الذات (...) إن هناك خطوطا حمراً في ما يخصهم[12]». طبعا، إن المثقفين الإسرائيليين«الحمائم»، لديهم هم أيضا خطوط حمر؛ ولم تصل المسألة عندهم إلى حد الاعتراف بحق الآخر وبعدالة نضاله وشرعية أهدافه. هكذا يتساوى ضحية الظلم مع الظالم، فكلاهما ارتكب جرائم بحق الآخر. ويعتبر مثقفون آخرون أن استمرار الاحتلال يؤذي سمعة إسرائيل الدولية، ويشوه نظامها الديمقراطي، ويضع علامة شك على انتمائها إلى الغرب؛ وبحسب الفيلسوف الإسرائيلي يشيعياهوليبوفيتش، فإنه: «إذا واصلت (إسرائيل) سياسة أرض إسرائيل الكاملة، فإنها ستنتهي خلال سنوات معدودة[13]». لذلك ، يطالب أمثاله إسرائيل بالتخلص من تبعات الاحتلال باعتباره وسيلة لإنقاذ إسرائيل نفسها، وليس باعتباره قيمة أخلاقية وضرورية إنسانية. وبحسب عاموس عوز، فإن: «الاحتلال يؤدي إلى الإفساد. الاحتلال نفسه لم يكن سببا للحرب، بل نتيجة لها (...) لا يمكن الحل في الدمج بل في الفصل عبر تقرير المصير قيام دولتين لشعبين»[14]. أما دافيد غروسمان فيعبر عن هذا الاتجاه بقوله: «نحن نوشك أن نمنح حق تقرير المصير:» لا للشعب الفلسطيني فحسب، بل لأنفسنا أيضا، بعد سنوات من الوقوع في الخطأ، من الضمور الروحاني والشعور بالمراوحة والوهن (...) إنني أقدر بأن تنازلا عن المناطق سيعيد اليهود الإسرائيليين إلى المجال الأصلي لتجربة هويتهم (...) . لأول مرة منذ نشوء الصهيونية السياسية (...) سينشأ تطابق بين الحدود وبين حدود الهوية[15]».

هذه هي المسألة بالنسبة إلى المثقفين الإسرائيليين الذين يتعاطون مع التطبيع، وفق أولويات إسرائيل الاستراتيجية، وفي إطار من الانضباط المجتمعي العالي يؤمنه التفاعل في نظام ديمقراطي بالنسبة إليهم، وتضطلع فيه الدولة ومراكز صنع القرار بدور الموجه.

أما في الجانب العربي، فإن المسألة تبدو في غاية الإرباك والتعقيد، وذلك بسبب الانفصام الحاصل في العلاقات المجتمعية (سلطة وشعب) وغياب مصادر الثقة والشرعية.

طوال المراحل السابقة، كان يجري التعاطي مع فلسطينيي 1948 بشكل حذر لكونهم يحملون الهوية الإسرائيلية. وكان «ذنب» هؤلاء أنهم صمدوا في أرضهم رغم أنف الصهيونية!، وتحملوا الأمرين في سبيل ذلك، فوجدوا أنفسهم معزولين عن المحيط العربي، حيث رسمت علامة شك كبيرة حول وضعهم، كأنهم لو تشردوا وتركوا أرضهم



للمستوطنين الصهاينة لظلوا عربا ووطنيين!، عن هذا الموضوع يقول سميح القاسم بمرارة: «نحن العرب الفلسطينيين الأصليين في وطننا نطالب الأمة العربية أن تعتذر لنا لأنها تركتنا كما تترك الأم طفلها وتهرب. وقاطعتنا 46 عاما بلا مبرر. أنا عربي فلسطيني. لسنا إسرائيليين من أصل فلسطيني. أنا مواطن في إسرائيل بحكم ظروفي التاريخية التي لم أسهم في صياغتها. وجواز السفر الإسرائيلي لا يعني لي شيئا على الإطلاق. إنه مجرد وسيلة للانتقال (.) ، الجواز الإسرائيلي لا يحولني إطلاقا إلى إسرائيلي[16]». وكان سميح القاسم شاعر المقاومة الفلسطينية يتحدث عندما دعي إلى الأردن للمشاركة في مهرجان جرش، وقد اعتبرت زيارته حتى من قبل فخري قعوار (الأمين العام لاتحاد الكتاب والأدباء العرب - سابقا) زيارة تطبيعية!لذلك نراه يرد على قعوار قائلاً: «يضعون زيارتي في إطار التدفق التطبيعي. أنا لا أسمح لأحد أن يربط زيارتي للأردن بزيارة إسحاق رابين أو بنيامين نتياهو». هكذا، تخاض وللأسف المعارك التطبيعية في مكانها غير الصحيح، ولا تخدم الاتجاه الحقيقي لمواجهة التطبيع مهما كانت النيات حسنة.

مسألة أخرى تطرح حول الندوات الدولية التي يشارك فيها عرب وإسرائيليون والتي تثير أحيانا ردود فعل غير مدروسة، وتكتنفها مزاجية عالية، في الوقت الذي تحتاج هذه المسألة إلى التروي والتعقل لتبين ما إذا كانت المشاركة تخدم عرض وجهة نظرنا وتعزيز التعاطف مع قضايانا من خلال هذه المنابر الدولية أم لا. والتجربة تؤكد أنه كثيرا ما استفاد العرب من المنابر الإعلامية، وعرضوا آراءهم أمام الرأي العام العالمي، وساهموا في استقطاب الأصدقاء لقضاياهم، ووضعوا إسرائيل في مأزق كبير بعدما كانت تسرح وتمرح في هذا المجال. المهم ماذا يقول المشارك في هذه الندوات؟ ما هو الخطاب الذي يقدمه؟ هل يتمسك بحقوق شعبه وأمته، ويقدم الرواية التاريخية الحقيقية ويشرح شرعية المقاومة والأهداف العادلة أم أنه يتبنى مفاهيم العدو وروايته لغاية في نفسه؟ والموقف المناسب، كما يقول عزمي بشارة، ألا نقاطع المؤسسات الدولية، وألا ندعو حضور ندواتها تطبيعا، لكن يجب أن ننتبه لئلا نتحول إلى كومبارس«لنجوم العملية السياسية»[17]. هل يقبل المثقف العربي بأن يقوم بدور «الكومبارس» لتزيين عملية التطبيع؟ طبعا، لا يمكن لمثقف أن يقبل بهذا الدور، ولكن بعض المثقفين وقعوا في هذا الفخ تحت غطاء شعارات البحث عن السلام والحداثة والديمقراطية والرفاه والتخلص من الحرب والتخلف والجوع والاستبداد للمثال، يقول حازم صاغية: «تملأني الحماسة للسلام كيفما اتفق (...) إن الحيرة في السلام، ولو أخذت شكل تعثر فردي، خير من الحيرة في الحرب التي تسوقنا عبيدا مسطولين إلى الموت (...) عدم وصولنا إلى إسرائيل حرمنا الوصول لا إلى السويد، بل إلى مالطا التي كان بوسعها أن تعلمنا الديمقراطية أو شيئا منها»[18]. هذا المنطق يقحم موضوعات أخرى في موضوع التطبيع ويخلط الأشياء بعضها ببعض، فيعزل دور إسرائيل والواقع الدولي الذي أنتجها، عن الواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في المنطقة. لذلك، هو يصل إلى نتائج غير منطقية وغير صحيحة. ثم أن هذه الأنظمة التي يهاجمها الكاتب بحجة الاستبداد والتخلف هي نفسها التي تطالب بالحداثة والسلام والديمقراطية وفق المنظور الأمريكي - الإسرائيلي، منظور التطبيع الذي يدافع عنه المثقفون المبهورون الذين حولوا صورة إسرائيل كما يقول الشاعر بول شاوول: «من صورة قاتمة بشعة مرعبة كونتها إسرائيل فينا، إلى صورة بهية مضيئة وردية، من صور تمثل الهمجية إلى صور قديسين (...) مع كل هذه العمليات الجراحية (مطلوب) أن نغمض عيوننا ونصم آذاننا ونغلق حواسنا ونعطل

رؤوسنا وننسى الواقع الراهن: والمطلوب إبراز الوجه العربي البشع إزاء الوجه الإسرائيلي الطاهر. (ويتساءل) «كيف يدينون الأنظمة السائدة المسؤولة عن الأوضاع القائمة ويتلقون معها في مواقفها التطبيعية؟ كيف يسخر هؤلاء من الواقع العربي المهزوم، ثم يلتحقون بنتائج هذا الواقع؟ العالم الإسرائيلي هو قناع سميك للعالم القديم، بل هو روح العالم القديم وتجسيداته الساخرة»(19).

وكان أميل حبيبي قد تحدث عن حل تصالحي مؤداه: «قبول إسرائيل في فلسطين وسط العالم العربي، غير احتفالية وغير عسكرية وغير عنصرية»(20)، من دون أن يدلنا على الطريقة التي يمكن أن تقبل فيها إسرائيل بهذه الشروط، ولا ما إذا كانت قادرة على ذلك أم لا؟ ولا يوضح لنا إذا كانت هناك قدرة ما تستطيع تغيير طبيعة إسرائيل في هذه الظروف. لا شك في أن الكاتب يعرف أن ذلك غير ممكن في هذه المرحلة. أما إذا كان طرحها للمستقبل، فلا طائل منها الآن، اللهم إلا لتسويق مسار سياسي معين أو تبرير مسار التسوية والتطبيع.

ويطرح لطفي الخولي(21) المسألة على نحو مختلف، إذ يعتبر أن المشروع الإسرائيلي والمشروع العربي كليهما لم ينجح، وثبت فشلهما، وانه آن الأوان لهما للقبول بالتعايش تحت شعار: من صراع الموت مع الآخر، إلى صراع الحياة مع الآخر. وهذا نموذج آخر من المثقفين الذين يحاولون تجيير قدراتهم السياسية والفكرية للترويج لترتيبات جديدة في المنطقة، ومن ضمنها التعايش بين نظام عربي ونظام شرق أوسطي.

عن هؤلاء المثقفين، يرصد الياس خوري ظاهرة: «شيوع معنى جديد للمثقف مرتبط بالمفهوم الأمريكي للمثقف الذي يضع نفسه في خدمة الإدارة السياسية. نموذج من ثقافة ديبلوماسية هجينة لا تطرح القضايا الحقيقية للحوار»(22).

لا يقتصر الالتباس الحمال في قضية التطبيع على المروجين له من خلفيات متباينة، كما أسلفنا، وإنما يشمل بعض المثقفين الذين يتناولون الأمور بسطحيتها، ويخوضون غمار المعارك في غير مواقعها وإطاراتها الصحيحة، وهؤلاء أيضا يظنون أن عملية التطبيع هي مجرد عملية ثقافية، ويغضون عن مساراتها الحقيقية التي تحفر مجاريها في مجالات حياتهم كافة. وبحسب سعد الله ونوس، فإن «هؤلاء لا يتهربون من عدم مواجهة السياسي فحسب، وإنما (...) من مواجهة التخريب الثقافي الذي يتم فعليا كل يوم في الوطن العربي من مؤسساته وأنظمته وأمراء نفطه (...) خراب الثقافة الوطنية يتم في كل لحظة ومنذ أكثر من ربع قرن، وهم يسكتون عليه، ملوحين بالخطر الذي سيأتي في ما بعد»(23).

في أي حال، إن المروجين للتطبيع في الإطار الثقافي العربي لا يمثلون إلا أقلية تتباين خلفياتها ورؤاها لعملية التطبيع. ولكن هذه القلة ذهبت بعيدا في تغييب ذاكرتها التاريخية، وفي تناسي المظالم التي لحقت بالشعب الفلسطيني وبالأمة العربية جراء قيام المشروع الإمبريالي - الصهيوني في فلسطين، كما إنها بالغت كثيرا في التعويل على رغبة العدو في التطبيع، وبنت أوهاما كبيرة حول مستقبل المنطقة تأسيسا على ذلك. المفارقة هنا هي أن المثقفين الإسرائيليين، ومن ضمنهم«الحمائم»، كانوا أكثر تحسسا«بوطنيتهم» الإسرائيلية، وأكثر إصرارا في الدفاع عن روايتهم التاريخية للصراع!.

لا بد من القول في النهاية إن التطبيع عملية متكاملة ترتبط ارتباطا وثيقا بترتيبات التسوية العربية - الإسرائيلية؛ وهذه التسوية لا يمكن أن تقوم، بحسب شمعون بيريز، إلا بقيام نظام إقليمي جديد في الشرق الأوسط؛ والنظام الإقليمي بتأسيس على بناء إطارات إقليمية وبنى تحتية ومجالات تعاون مشترك ووفق مفاهيم محددة. على هذا الأساس يجب الإعداد لمواجهة هذه العملية ومقاومتها في إطاراتها الحقيقية الأساسية، وليس بافتعال مجالات أخرى أو معارك ثانوية لا طائل منها، إلا مزيد من التشتت والتخبط، بينما العدو ينظر إلى تلك المعارك بعين الرضى والغبطة.

أخيرا يقول محمود درويش في مسالة التطبيع الثقافي: «ليس في وسع الميثولوجيا والرموز والصور والإيقاعات أن تتفاوض. ليس في وسع الواقع النصي أن يتطابق مع الواقع السياسي المتقلب. من مفارقات العمل الأدبي أنه ثوري ومحافظ في آن.محافظ وثوري في وقت واحد. إن تحت سطح كلامي، تحت سطح نشيدي التراجيدي تنتشر أرض فلسطين التاريخية، تاريخها الحضاري وتاريخ ثقافتها الروحية والزمنية وتاريخ إنسانها»(24). وعليه من المهم قبل خوض المعارك والصراعات استبعاد المعارك الوهمية، لأن فيها كثيراً من تضيع الجهود بما لا يخدم الصراعات الحقيقية، ومن المهم أيضا، معرفة العدو على حقيقته وبناء على واقعه هو ومنطلقاته هو، وليس بناء على أوهامنا أو تصوراتنا المتناقضة عنه، ولعل المعركة حول التطبيع التي أثارت البلابل خير مثال على ذلك. الخلاصة فإن إسرائيل العنصرية والتي تعتبر نفسها جزءاً من الغرب في المنطقة والتي قامت لأسباب سياسية وظيفية، هي نفسها التي ترفض التطبيع لأنها ترفض تحديد حدودها: الجغرافية والسياسية والبشرية والاقتصادية والثقافية، ولأنها مصرة على الاستمرار بدورها السياسي - الوظيفي في المنطقة، وإسرائيل هذه التي لا تملك القدرة على حسم تعريفها لذاتها، غير قادرة على التطبيع مع ذاتها ، فكيف بالنسبة للتطبيع مع العرب!. التطبيع الذي تريده إسرائيل هو فرض روايتها على العرب، وإجبارهم على التخلي عن حقوقهم ومصالحهم وأولوياتهم، لصالح أمن إسرائيل ومتطلبات استقرارها وتطورها وتفوقها من مختلف النواحي، وهذا ما يجب مقاومته بمختلف الوسائل المتاحة والممكنة ■■

الهوامش

1 - بول شاؤول، مقابلة أجراها محمد مفلح فرحات، الحياة 1994/11/30 .

2 - محمود درويش، عن صحيفة تشرين السورية، 1995/1/14.

3 - د. عزمي بشارة، «الثقافي أو اعتذار الضحية من المجرم»، الحياة ، 1993/12/17.

4 - د. إدوارد سعيد، «حقائق ثابتة عن الصهيونية وإسرائيل»، الحياة 1995/1/29.

5 - سميح القاسم مقابلة مع مجلة الهدف 1995/2/5.

6 - نعيم قطاف (كاتب يهودي من أصل عراقي مقيم في كندا)، مقابلة مع الحياة1994/11/11.

7 - إيال سيفان (سينمائي إسرائيلي) ، راجع ملف التطبيع الذي أعده حسن م. يوسف في صحيفة تشرين السورية، في 28 و1995/1/29.

8 - كريم مروة مقابلة مع صحيفة السفير، 1995/2/4.

9 - الياس خوري، من غر ناطة إلخ، ملحق النهار الثقافي، 1994/1/29.

10 - راجع مقولات شمعون بيرز في كتابه شرق أوسط جديد (عمان دار الجليل، 1994).

11 - إبراهيم البصراوي، «تحولات مسالة التطبيع الثقافي، الحياة»، 1995/1/5.

12 - عاموس عوز، كاتب إسرائيلي، «إسرائيل ممزقة في فلسطين». الغارديان 1989/12/23.

13 - يشعياهو ليبوفيتش (فيلسوف إسرائيلي) ، مقابلة نشرت في يديعوت أحرنوت الأسبوعي، 1988/2/5. 14 - عاموس عوز، مصدر سابق.

15 - دافيد غر وسمان، كاتب إسرائيلي، «فلنتخيل السلام»، مقابلة ترجمها عن يديعوت أحر ونوت، 1993/2/29. كمال إبراهيم ونشرتها السفير، 1994/12/5.

16 - سميح القاسم، مصدر سابق.

17 - عزمي بشارة، مصدر سابق.

18 - حازم صاغية، «رسالة إلى صديقة استعجلت». الحياة1995/1/13.

19 - بول شاؤول، «انكشارية التطبيع»، السفير 1995/2/7.

20 - أميل حبيبي، «وقفة تفكير»، الشرق الأوسط، 1995/2/3.

21 - لطفي الخولي، «ندوة حول النظام الشرق أوسطي» الحياة1993/11/1.

22 - الياس خوري، مصدر سابق.

23 - سعد الله ونوس ، مقابلة مع مجلة الحرية، 1995/2/19.

24 - محمود درويش، «كتاب الاستقالة من اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية»، مجلة الدراسات الفلسطينية، بيروت، العدد 16 خريف ،1993 ص205 - 207.

«بؤس المصالحة»

«الساداتية» وفلسطين و«دولة اليهود»

صادق أبو حامد



عنوان الكتاب: بؤس المصالحة

المؤلف: عبد العال الباقوري.

الناشر: مصر العربية للنشر والتوزيع

طبعة أولى ١٩٩٧

بلغة صحافية رشيقة، ورؤية سياسية شمولية، يقدم الأستاذ عبد العال الباقوري، عبر سيل من المتابعات والشواهد التاريخية والسياسية، كتابه (بؤس المصالحة) حيث يبدأ فيه من زيارة السادات للقدس المحتلة عام ١٩٧٧، منطلقاً في شتى الإتجاهات، ليحدد موقع نهج «الساداتية» في مسيرةالصراع العربي - الصهيوني، وليظهر أي عائق كانت في وجه العرب، وإلى أي هاوية ارسلتهم؟!

ما يجده الكاتب محورياً في المفاوضات، وعلى نحو أكثر من استثنائي، هو قضية القدس، كونها (تعبير مكثف ودقيق عن مجمل الصراع العربي الإسرائيلي)، وقد كان (من الخطأ عربياً، من كامب ديفيد إلى اليوم، أن توضع القدس «على رف المفاوضات» تنتظر دورها)، فتأجيل قضية القدس إنما يجعلها فريسة سياسة خلق الحقائق والتي تنتهجها الصهيونية منذ انطلاقها، فقد (كانت عملية التسوية، منذ الزيارة المشؤومة للقدس حتى اليوم، من جانب المفاوض العربي تجربة في التكيف مع الحقائق التي يزرعها الصهاينة، وبالذات في القدس).

وإذا ما أشاح الكاتب بصره عن طرفي المفاوضات لوهلة، فإنه يمعن النظر في (الراعي) لهذه المفاوضات إذ يبدو (كل رئيس أمريكي أسوأ من سابقه)، فمنذ مؤتمر (بلتيمور ١٩٤٢) كان الدعم الأمريكي علنياً (لإسرائيل) وعلى مختلف الأصعدة، حتى ذاك المتعلق بموقف الولايات المتحدة المباشر من المفاوضات، لذلك يدعو الكاتب إلى انتهاج سياسة جديدة مع أمريكا مستندة إلى إدراك وتحديد (ماذا نريد من أمريكا؟ وماذا تريد أمريكا منا؟)، وتأخذ بعين الإعتبار الإبتعاد عن النهج الساداتي، وبالمقابل عدم (مناطحة) الدولة الأقوى في العالم، هذا مع اعتراف الكاتب أن الأفق لايبشر بوسيط نزيه.

وفي معرض حديثه عن مرور ١٠٠ عام على المؤتمر الصهيوني، يعرج الكاتب على بدايات الصراع العربي الصهيوني، فيحدد جملة ظروف موضوعية كانت مواتية لظهور مشروع صهيوني يحقق مصالح الغرب في المنطقة، وقد نجحت المنظمة الصهيونية في أن تكون أداة فاعلة لإستغلال المصالح المشتركة مع الدول الغربية، كما أنها حققت وحدة العمل الصهيوني، بالمقابل كانت القومية العربية تنهض وسط وضع معقد في الدولة العثمانية، إضافة إلى أن منظري النهضة كانوا نخبة وموزعين مما أدى إلى تشتيت جهودهم. وفي هذا المضمار يجد الكاتب من الضروري الإستفادة من صراع الأعوام المائة إذا لم يكن للتعلم من عدونا، (مع الإعتراف بالفوارق بيننا وبينه)، فمن أجل (أن نعيد الحساب، ونراجع التاريخ لندرك بشكل محدد لماذا نجح عدونا ولماذا فشلنا؟).

ثم يدقق الباقوري في دلائل تفكك (المجتمع الإسرائيلي) فيجد أن مقتل (رابين) وصعود (نتنياهو)، ليس وليد السنوات الأخيرة، إنما هو إحدى نتائج الصراع بين (الحاخام) و (الجنرال) والذي أخذ أشكاله الحادة والعلنية منذ عدوان (١٩٦٧)، بل إن هرتزل كان يخشى هذه الأزمة لذلك حدد دور رجال الدين، وهدد بمقاومة (عنيفة وشديدة) إن هم حاولوا التدخل في (شؤون الدولة). بيد أن الكاتب لايقع في مغالطة الإعتقاد بفوارق حقيقية بين (اليسار) و(اليمين) الصهيونيين، فلا يعدو الأمر برأيه أن يكون (اليمين أكثر صهيونية، ويبدو اليسار الصهيوني أكثر مراوغة). وفي خضم متابعته تلك يدلل على هشاشة التماسك الإجتماعي في (اسرائيل)، إذ يذكر بأن (كافة الأحزاب السياسية في إسرائيل بدأت في خارج فلسطين)، ويحدد مأزق الكيان الصهيوني (بجناحيه) في رؤيته أن (السلام خطر، وأن الحرب أصبحت اليوم خطراً)، ثم يلفت الإنتباه إلى أن أزمة المواجهة بين التيار الديني المتطرف والتيار السياسي في (المجتمع الإسرائيلي)، (يكاد يصيبه بنوع من الشلل).

وفي تنقلاته عبر الوقائع التاريخية، أفقياً وعامودياً، يهتم الكاتب بالخوض في الحروب الصليبية والمقاومة العربية الإسلامية لها،

وعلى رأسها القائد صلاح الدين الأيوبي، فيعمد إلى نسج مقارنات، ومن ثم استخلاص نتائج، مفادها أن وحدة الصفوف العربية هي التي أدت إلى استرجاع بيت المقدس، وفي الوقت ذاته لا ينسى التأكيد على الجانب التفاوضي من هذا الصراع، فيشرح كيف استطاع صلاح الدين، لحنكته السياسية، واعتماده مبدأ الشورى مع حاشيته، أن يستثمر انتصاراته وأولها انتصاره في حطين، بينما (لم يستطع العرب استغلال نصر أكتوبر) في العصر الحديث.



لكن الحروب الصليبية والتي استحضرها الكثير من الحكام والمفكرين العرب لمقارنتها بالإستيطان الصهيوني، تأخذ طابعاً آخر لدى الصهاينة، إذ تشكل هاجساً مصيرياً بالنسبة لمفكريهم وسياسييهم، وانطلاقاً من هذا الهاجس يجدون في وقف الهجرة مقتلاً لمشروعهم، كما كانت مقتل المشروع الإستيطاني الصليبي قبلاً.

والباقوري، وعلى طول تحليلاته، لايوفر جهداً للتأكيد مراراً وتكراراً على ضرورة الوحدة العربية بأي شكل كانت، أو المصالحة العربية على أقل تقدير، كحل وحيد للدخول في العصر بأبعاد حقيقية، والتحرر من المأزق الذي تسببه الحلول المنفردة، فخطيئة (كامب ديفيد ليست في المفاوضة في حد ذاتها، بل في التسوية المنفردة).

ثم يستعرض الكاتب تاريخ انتشار وسيطرة التيار القومي العربي داخل مصر في العصر الحديث، فيرى أن حركة الضباط الأحرار، والتي عززت على نحو قطعي من قوة هذا التيار، إنما كانت تندفع في هذا الإتجاه مشحونة بصدمة نكبة فلسطين التي تركت جروحاً عميقة لدى معظم قياديي الحركة.

بعد ذلك يتوجه الكاتب إلى الإصطلاحات السياسية (كطريقة هامة في الحرب الإعلامية والتي تنتهجها الصهيونية) ومن ذلك مقولة (إلقاء اليهود في البحر) كزعم شائع رغم عدم صحته التاريخية. وكذلك إدراج مصطلح (الشرق الأوسط) لتمييع الخصوصية العربية، وحذف (الوطن العربي) من القاموس السياسي، وهو مايشكل وسيلة من وسائل السياسة الأمريكية - الصهيونية لتجزئة الوطن العربي، بل إلى تفتيته وفق مشروع يضمن سيطرة اقليمية مطلقة (لإسرائيل) بين مجموعة دويلات طائفية ضئيلة.

وفي ختام كتابه يقدم الباقوري (أولويات العمل في الصراع العربي - الصهيوني، فيتعرض إلى مشكلة العمالة الفلسطينية في فلسطين(١٩٤٨) والمستوطنات الإسرائيلية، إذ يجد فيها مفارقة مؤلمة: أن تعمر اليد الفلسطينية بيت قاتلها، ويقترح بأن تفتح الدول العربية (وخاصة الكويت) الباب لتدفق العمالة الفلسطينية، وتجاوز ما خلفته حرب الخليج الثانية من أوجاع في الجسد العربي، كما ويؤكد على أهمية العلاقات السورية الفلسطينية المصرية، كضمانة وحيدة للخروج من عشوائية المفاوضات ودعم المفاوض الفلسطيني، ويدعو المفاوضين العرب إلى (التقاط الأنفاس) لمراجعة كل خطوة، ويشدد على المقاطعة ورفض التطبيع، فذلك (سلاحنا الأخير في ظل عجز الآلة العسكرية العربية وضعفها)، على أن يكون مقابلاً له الإعتراف بحق الفلسطيني في العودة، ووقف الهجرة الصهيونية إلى فلسطين.

وفيما يشبه خلاصة الكتاب يقول الكاتب: (هناك مرحلة أخرى من الصراع العربي - الإسرائيلي، بدأت بزيارة القدس، ولاتزال ممتدة، وهي مرحلة لابد أن تستكمل نتائجها، شئنا أم أبينا، ولكن عبر هذه المرحلة يمكن العمل - لتحسين الشروط - التي يجري الإتفاق عليها).

الكتاب يشكل دعوة، مشفوعة بالبراهين، إلى تلمس الخطر المحدق، وهو إذ ينصح بالإستفادة من التجارة السياسية، قديمها ومعاصرها، فإنما يطرح جملة ضرورات تساهم في بناء مصدّ للصعوبات التي تحيق بأمتنا، وذلك عبر التوجه للمصالحة العربية، والتخطيط قبل دخول المفاوضات، كما أنه يؤكد على ضرورة الوعي السياسي، والذي بدا قاصراً في المراحل السابقة، المستند إلى معرفة العدو وفق دراسات موضوعية علمية معمقة، وإلى تحديد ما هو ثابت وما هو متغير في السياسة الدولية لرسم علاقات ناجعة ومتوازنة مع القوى الكبرى، والكاتب في كل ذلك يبدو صوتاً وطنياً صادقاً، ينادي بالتمسك بما تبقى لنا قبل أن نخسر كل شيء.

أعتقد أن مادة الكتاب سياسية دسمة، لتشعبه في أغلب أزمة التسوية والمواجهة مع الصهيونية، معتمداً في ذلك على أدلة وشواهد غزيرة، غير أن هذا التشعب يبدو من جانب آخر نقطة ضعف فيه على الصعيد التقني، إذ يبدو مفتقداً المنهجية، يتحرك في أكثر من موقع في وقت واحد، دون أن يُعنى بتنظيم حركته وترتيب طروحاته.

وإذا كانت طبيعة الكتاب، باعتباره في الأصل مجموعة مقالات، يبرر - إلى حد ما - اللامنهجية فإن تكرار الحديث عن ذات الفكرة أو الواقعة في أكثر من موقع لايبدو مبرراً بأية حال، إضافة إلى أن أحد عناوين الكتاب (مؤرخ كبير) يظهر وكأنه خارج السرب، إذ أن اهتمام هذا المؤرخ بالحروب الصليبية لايسوغ إقحام سيرته ومنجزاته، فموضوع الحروب الصليبية وجد غير مكان له في الكتاب وبتفصيل أكبر.

من جانب آخر أعتقد أن كثيراً من اقتراحات الكاتب تبدو أكثر عمومية من انتاج حل عملي، ولعل حديثه عن (الراعي النزيه) خير مثال على ذلك، فالباقوري ينوه في أكثر من مكان إلى ضرورة تغيير العلاقة بأمريكا، ويقدم الكثير من الشروحات حول هذا الموضوع تنصب جميعها على ما لايجب فعله، والسؤال هنا: إذا كان المتاح - وحسب شرح الكاتب - غير مقبول، فما هو المقبول؟!

ومايمكننا ملاحظته أخيراً، هو النهايات السعيدة أو المتفائلة التي ختم بها الكاتب أكثر من باب دون أن يعرض مقدمات تناسب هذه النهايات، لكن لعل الكاتب يقصد تفاؤلاً احتمالياً يعتمد على ما سيتداركه العرب من أخطائهم، ولربما كان ينتظر جواباً منهم على سؤاله الذي ختم به كتابه وبه نختم قراءتنا أيضاً، إذ يقول:

متى نكف عن تقديم تنازلات دون مقابل؟■■

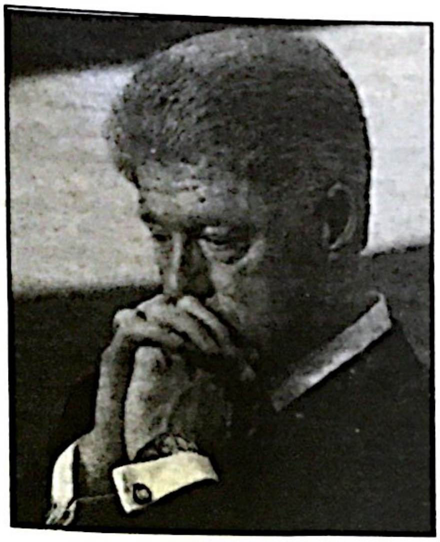
هل تطيح مونيكا بالرئيس كلينتون؟

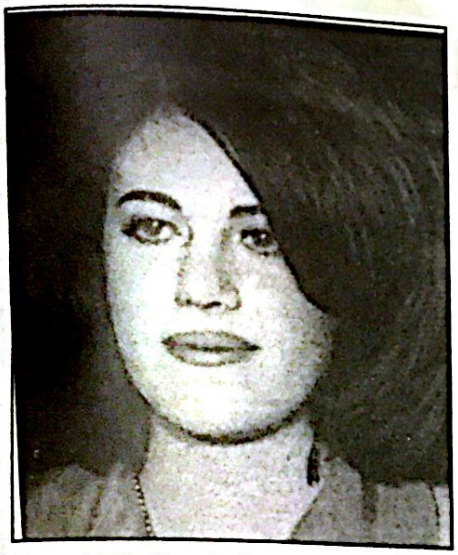
حسن العاصي

تتابع اميركا باهتمام بالغ التطورات الخطيرة التي استجدت في قضية كلينتون ـ لوينسكي، بعد موافقة الأخيرة على التعاون مع المدعي العام المستقل «كينيث ستار» وتوصلت معه الأسبوع الماضي إلى اتفاق حصلت بموجبه على الحصانة القضائية التامة في مقابل اعترافات جديدة تقدمها حول علاقتها الجنسية مع الرئيس كلينتون عندما كانت موظفة متدربة في البيت الأبيض، وكانت قد نفت نفياً قاطعاً وجود هذه العلاقة تحت القسم فيما مضى، في وقت تواصل هيئة المحلفين الفيديرالية العليا النظر في إمكانية اتهام الرئيس بالكذب تحت القسم بعد أن نفى هذه التهمة أمام عدسات التلفزيون مطلع العام الحالي، أو توجيه التهمة الأخطر وهي التآمر في تزوير إفادة وعرقلة سير العدالة.

وفيما أعلن «ديفيد كيندال» المحامي الشخصي للرئيس أنه توصل مع «ستار» على استجواب كلينتون من خلال جهاز فيديو في البيت الأبيض، أظهرت استطلاعات الرأي التي أجرتها محطة «سي إن إن» التلفزيونية، تأييداً واسعاً لدى الأمريكيين لقرار الرئيس الإدلاء بشهادته طوعاً واعتبر ٧٥ في المئة أن القضية ليست مهمة إلى درجة تؤدي إلى عزله وعبر ٦٥ في المئة عن تأييدهم له مقابل ٦١ في المئة مطلع الشهر. هذه هي المرة الأولى في تاريخ الولايات المتحدة التي يتم فيها استدعاء رئيس لايزال في منصبه للمثول أمام هيئة محلفين فيدرالية تودي بالمذنبين فيها إلى السجن وهو تعبير عن فقدان صبر «ستار» بعد أشهر من المفاوضات غير المجدية مع البيت الأبيض، ومن المؤكد أن «ستار» هذا لايهمه كثيراً أو قليلاً وجود علاقة جنسية بين كلينتون ولوينسكي، لأن ذلك لايشكل انتهاكاً لأي قانون، لكن ما يهمه هو التأكد إذا ما كان الرئيس قام مباشرة أو عبر مساعديه بعرقلة التحقيق أو الطلب من لوينسكي إخفاء الحقيقة.

الطريف في الأمر أن تداعيات هذه الحكاية تزامنت مع نشر دراسة تحليلية تاريخية أظهرت أن أداء الرؤساء الأمريكيين الذين لم يكونوا أوفياء لزوجاتهم أفضل بشكل عام من أداء الرؤساء الأوفياء. وجاء في دراسة البروفسور «لي سيغيلمان» أن الرؤساء الأكثر نجاحاً كانوا بالفعل أولئك الذين نشطوا جنسياً خارج سرير الزوجية.





إن الفصل الجديد من حكاية كلينتون ـ لوينسكي يسلط الأضواء على ما تمنت الأكثرية الأمريكية أن يبقى في الظل لأنه يدق في جذر القيم والتقاليد الأخلاقية الأمريكية وهو الكذب تحت القسم، وعرقلة العدالة بالإحتيال على الحقيقة والمتهم الآن هو الرجل الذي يجب أن يرعى ويصون هذه التقاليد، وإذا أثبتت تطورات الأيام القادمة أن الرئيس فعل ذلك فإن أميركا قد تتوصل إلى إدانته تمهيداً لعزله، رغم أنه مازال محبوباً ويتمتع بشعبية قوية، رغم عدم ثقة نسبة عالية من الأمريكيين به إذ أظهرت استطلاعات الرأي تراجع مصداقية الرئيس ورغم ذلك بقيت متمسكة بدعمها له وهو أمر يثير الدهشة.

أم أن الصورة لاتخرج عن الإطار الذي حدده «وليام شنايدر» الخبير الأمريكي بالشؤون السياسية حول عقلية الأميركي ونظرته للمؤسسة الرئاسية، حين شبه الرئيس بـ «السمكري» فقال: «عندما تستدعي سمكرياً إلى المنزل لإصلاح عطل ما في الأنابيب، يهمنا معرفة قدرته على اصلاح هذا العطل، وليس إذا كان قد قام بخدمته العسكرية أم لا، أو إذا ما كانت لديه الكثير من العشيقات.. بالطبع نريد أن نتأكد من أنه لن يسرق المنزل.. إلا أن هذا «السمكري» يأتي إلى المنزل لإصلاح الأعطال منذ ستة أعوام، وطيلة هذه الفترة لم نفقد شيئاً والأنابيب تعمل جيداً».

لكن واقع الحال ليس هكذا إذ أن سجل كلينتون حافل بالسوابق، فالعلاقة مع «جنيفر فلاورز» نفاها المرشح كلينتون قطعياً، عاد واعترف بها اعترافاً ظرفياً. ثم إن كلينتون الرئيس نفى اتهامات «بولا جونز» التي اتهمته بالتحرش الجنسي عندما كان حاكم ولاية «أركنسو» ورفض التوصل إلى أية تسوية معها إلى حين أسفر التحقيق عن كشف العلاقة مع لوينسكي.

أخيراً نقول أنه من الطبيعي أن تطغى هذه القصة على ما عداها من الأنباء الدولية لأن هذه الفضيحة يمكن أن تضعف أو تنهي رئاسة كلينتون ويمكن تلمس ذلك من انجذاب وسائل الإعلام الغربية لمتابعة تطورات هذا الموضوع ويعني ذلك أن الإدارة الأمريكية ستكون منهمكة على المدى القصير في معالجة قضاياها الداخلية التي لها أولوية على حساب شؤون دولية مهمة في مقدمتها مصير عملية السلام في المنطقة بعدما وضع نتنياهو مساريها السوري واللبناني في مرحلة سبات وتمكن من الحصول على مزيد من التنازلات الفلسطينية، وهو ـ نتنياهو ـ يراهن على قدرته ارغام واشنطن على أن تتأقلم مع جميع أطماعه، خاصة بعد أن فقد كلينتون أي اهتمام بممارسة أي ضغط على اسرائيل متجنباً دخوله في مجابهة مع الجمهوريين في الكونغرس، ومقيداً بقرار الحزب الديمقراطي ترشيح نائبه «آل غور» للرئاسة من بعده، حيث بات من الصعوبة على كلينتون اتخاذ أي قرار يؤذي المصالح الإنتخابية لنائبه. وربما أن الدوائر الصهيونية في الولايات المتحدة الأمريكية لها يد طولى في هذه الفضيحة.

مايجري اليوم جزء من الديمقراطية الأمريكية.. لكنها للداخل فقط ■■

قضايا ثقافية

كاتبنا الكبير / نجيب محفوظ: رجاء.. اسمح لنا بهذا!

أحياناً، ثمة مواقف لبعض الكبار، ممن لهم وزن في الحياة العامة الثقافية، والفكرية، والابداعية، تدعو فعلاً إلى الحيرة والارتباك.

ربما، لأنها تبدو وكأنها خارج السياق المنطقي للأشياء، وموقف كاتبنا الكبير نجيب محفوظ، من عبد الناصر والتجربة الناصرية الذي كشف عنه مؤخراً في الحوار الذي أجراه معه الكاتب رجاء النقاش ينتمي الى هذا النوع من المواقف التي تثير الحيرة والارتباك، إن لم نقل الشك بالدوافع والخلفيات. إذ، ما الذي يجعل كاتباً كبيراً، كنجيب محفوظ، يصمت طوال أربعة عقود، ثم فجأةً ينبري ليقول: كان بالإمكان استعادة قناة السويس، بدون قرار التأميم.. والحروب التحريرية...؟! نحن نفهم، أن يكون للكتّاب الكبار آراء في الأحداث الكبرى لعصرهم، يحملونها بشكلٍ أو بآخر لأبطال رواياتهم، أو يبنون على أساسها شخصيات أعمالهم، وقد فعل نجيب محفوظ وغيره من الكتّاب هذا الأمر حول التجربة الناصرية، لكن أن يقف كاتبنا الكبير في هذا الظرف الذي تتعرض فيه شخصية عبد الناصر والتجربة الناصرية إلى حملة اتهامات خطيرة وظالمة تحمّله مسؤولية ما آلت إليه حال الأمة من تراجع وانكسار ليشارك في هذه الجوقة، فدافعه أحد أمرين: إما أن يكون كاتبنا الكبير مبدعاً عظيماً على صعيد الفن الروائي، لكنه جاهل كبير على صعيد السياسة ودهاليزها (وهذا بطبيعة الحال، لا ينقص من قدره، لكن يدفعنا إلى القول: اسمح لنا بهذا. وإما هناك جهات ما لها مصلحة في تشويه صورة الزعيم جمال عبد الناصر، والتجربة الناصرية، وتريد استغلال شخصية الكاتب نجيب محفوظ ووزنه في حملتها المعادية ضد هذا الرمز ـ الحاضر دائماً بقوة في حياتنا العربية كضمير وفكرة نبيلة، وتجربة انسانية عظيمة، وقد استغلت هذه الجهات (ربما) آراء الكاتب الكبير، لتحرضه في هذه الفترة على نشرها على هذا النحو المؤذي والمشوّه.

يبقى القول: إنه ورغم كل محاولات التشويه، والأحكام الجائرة، فإن جمال عبد الناصر (كما قال الزميل طلال سلمان) «مازال يسكن الوجدان العربي، وغالباً كامنية، أو كحلم للمستقبل» ■■

الهدف الثقافي

الإستلاب في الثقافة الأمريكية

الرواية نموذجاً

عبد الكريم درويش

هل مازال في الإمكان تمثيل العالم المعاصر على المسرح؟ ذاكم هو السؤال الذي يجد المؤلف المسرحي «برتولت بريخت» نفسه منقاداً إلى طرحه إزاء الطابع الكلي الإستبداد للمجتمع القائم. و «البينغ بونغ» مسرحية لـ «ارتير اداموف»، وهي صورة دراماتيكية رائعة عن الإستلاب.

كل الأشخاص الذين يظهرون في المسرحية لاوجود لهم إلاّ بعلاقاتهم مع: البليار الكهربائي المزوّد بالغيير، وهو رمز متميز للعمل الميكانيكي وغير الإنساني في نظام اقتصاد الحضارة الصناعية. وباستثناء مدير المنتدى الكهربائي، فإن جميع الشخصيات الأخرى لاتبغي إلا امتلاك الآلة الفخمة. من بين المعجبين بهذه الآلة شابان وشابة يحلمون بالوصول إلى المنتدى الذي يصبح بالنسبة لهم معبداً يوحي لهم بنوع من الرعب المقدس.

ووسط كل هذا يسيطر مدير بيدو وكأنه رجل روحي له سلطة قوية شبه دينية. تشكل حوادث المسرحية وعقدتها نوعا من اسقاط أسطورة الإستلاب عن طريق السخرية: البليار يتعطل، المدير يشيخ ويموت، الفتاة تقتل بحادث أمام البليار. الشابان يتشردان. من هو المستلب؟ ومن الذي يعتبر هكذا الآن؟ العامل اليدوي و/ أو المثقف. المرأة الملزمة بالأعمال المنزلية. الطفل المهمش في المجتمع. التلميذ الخاضع لبرامج ومناهج ومعلمين لم يكن له دور في اختيارهم. المستهلك الموجّه في متاهات السوبرماركت. صاحب الشذوذ الجنسي المنبوذ من عالم مسقّى (طبيعياً). المجنون المحجور عليه بانوبتيكياً في مراكز إعادة تأهيل تسمى مستشفيات نفسانية. العصابي المعهود به إلى المحلل النفساني لمعالجته. الذهاني المنتصر لمبدأ اللذة على مبدأ الواقع. حد من الكحول والمخدرات. الإمتثالي المغالي في أصوليته. اللاإمتثالي الواقع ضحية الدين المضاد. الزنجي، الهندي، المستعمر أو المستغَل؟

تندرج في إطار الإستلاب حالة نزوع الإمتلاك (نزع امتلاك المرء لذاته، ومشاعره، وحركاته، وأفعاله، وانتاجه). والإمتلاك من الآخر (من الله، والأب ورب العمل والمستعمِر، والجلاد والكاهن ومنظم أوقات الفراغ، وكذلك انقطاع التواصل مع العالم ومع الآخر، والتحليق في عالم لاواقعي).

يقول هيغل في كتابه «ظاهرية الروح» أنه يمكن تجاوز الإستلاب بالتوضع بالمعرفة المطلقة وبواسطتها. يقول ماركس إنه بالإمكان تجاوز الإستلاب الديني والسياسي والإقتصادي في البراكسيس وبواسطته، ويعني به: التطبيق العملي لمحاولات تغيير العالم، وبخاصة وسائل الإنتاج التي تقوم عليها البنى الإجتماعية. ويعتبر فرويد في كتابه «قلق في الحضارة» أن التخلص من تكدّر المدنية واستلابها يكون بالتكيف.

أمّا سارتر في كتابه «نقد العقل الجدلي» فيطرح النزوع لتجاوز الإستلاب الشامل. وفي كتابه «الإنسان ذو البعد الواحد» أراد «هربرت ماركوز»، في مواجهة الإستلاب، إعادة التوازن بين الجدلية الإقتصادية الخارجية والجدلية البيولوجية والنفسية الداخلية في الذات البشرية، كون الإستلاب لقاء وتمفصلاً بين القمع الإجتماعي والقمع الجسدي أو الحيوي مع محاولة العودة إلى السكون تحت ضغط الخوف والكبت والقمع. أما فرانز فانون في كتابه «معذبو الأرض» يرى أن نضال التحرر الوطني هو السبيل لتخطي الإستلاب/ الإستعمار.

والإستلاب ظاهرة اجتماعية تامة تتمحور حول أربعة عوامل تكوينية أساسية: العامل: الإقتصادي/ السياسي/ الإجتماعي/ الثقافي.

ماذا عن العامل الثقافي؟ إنه مجمل القيم التي تشكل نمط العيش الأمريكي يجب على المهاجرين أن يتقبلوا هذه القيم، بمجرد اختيارهم المواطنية الأمريكية. والأمريكيون يفرضون هذه القيم على سكان أميركا الأصليين (الهنود) وعلى مستعمريها الإصطناعيين (السود).

يتم نقل هذه القيم بوساطة القنوات الكلاسيكية: المدرسة، الكنيسة، التلفزيون، الإعلان، وبوساطة السينما على الأخصّ، ومعلوم أيضاً كم هي الأهمية التي كان يعلقها «تيودور روزفلت» على السينما المدركة فطرياً كأداة التطبيع الثقافي.

كما هي الحال دائماً، فقد كانت لتلك القنوات/ المؤسسات وظيفة مزدوجة:

١ ـ (هدم وتحطيم الثقافة الأصلية (الثقافة: الهندية، الايرلندية، الإيطالية، الفرنسية) وذلك تحت شعار (التثاقف) أي التكييف الثقافي والإجتماعي لرفع مستوى المجتمع الجديد.

٢ ـ فرض ثقافة متجانسة وهذا ما يسمى رسمياً بـ (التمثل). وهي ترتكز على ثلاث دعائم، ومن أحط ما أنتجه الفكر اطلاقاً:

- الفلسفة العملية النفعية البراغماتية (وليم جيمس، جون ديوي)
- المدرسة النفسانية السلوكية الأمريكية (واطسون)
- عقيدة الكويكرز أو الصاحبيين البروتستانتية (فرانكلين)

أما خارج الولايات المتحدة، فتصدر تلك القيم إما:

أ ـ سلمياً، بشكل مساعدات ذات طابع استهلاكي لاستثماري.

ب ـ عسكرياً بشكل حروب مباشرة أو بالواسطة في مناطق النفوذ الأمريكي.

وفي الحالتين تكون النتيجة واحدة، فسواء كان البلد المعني صديقاً أو عدواً، فإنه يتكيف (كلياً أو جزئياً) مع القيم الأمريكية المحكمة باتقان من قبل الأخصائيين العملانيين الأمريكيين في الإستهلاك والرقابة والتراتبية.

لماذا الرواية كحقل لدراسة الإستلاب؟ للإجابة لابد من تحديد ماهية الرواية، ولابد بالتالي من اقتراح بعض التوجهات:

أ: تتألف الرواية من كلمات وصور تنتظم، من جهة في شبكة دلالات ومعان (جملة تداعيات، نقل التخطيطات والتصورات الثقافية، تصوير السلوك...) ومن جهة أخرى، في شبكة شفوية (تستخدم مبادئ صارمة في علم الدلالة والنحو والقواعد اللغوية). وسواء اكتفى الروائي بنقل رسائل ثقافية في لغة معينة، أم حاول بالعكس أن يعيد النظر في جزء (أو أكثر) من الإيديولوجيا السائدة، وفي جانب (أو أكثر) من الكلام المقولب، فإنه هو الذي يختار، ويأمر، وينظم ويوفق، والروائي هو المتلاعب بامتياز بتركيب الكلمات والصور.

٢ ـ كما التربية، فإن الأدب هو ناقل ايديولوجيا معينة، والمهم هنا ليس طبيعة الإيديولوجيا بل كون الأدب يظهر بمظهر (محايد). إن للأدب وظيفة ايديولوجية، تضاهي وظيفة السياسة. والفارق الوحيد بينهما هو أن الإلتزام مفكر في الحالة الأولى ومعترف به في الحالة الثانية، وهكذا فإن الأدب هو بمثابة قاطرة ايديولوجية أكثر تستراً. فالروائي المرتبط بثقافة متمايزة جداً ليس أكثر براءة من الناطق بلسان حزب سياسي.

٣ ـ كما السياسي، فإن الروائي لايكتفي بنقل القيم بل يساهم في تكوينها، وخاصة عندما يغير أو يكيف أو يحدّث الأساطير. وهكذا نرى «ناباكوف» مثلاً يساهم في هدم أسطورة الطفل البريء وفي بناء أسطورة الحورية الصغيرة المطلعة باكراً. ففي هذه العملية المزدوجة تكون المراوحة مستمرة بين الأديب

والجمهور: لم يكن بالإمكان خلق شخصية «لوليتا» مثلاً لو لم يكن ثمة نوع من الإجماع على هذا الصعيد الجنسي الخاص. إنما أيضاً لولا ذلك القدر من الجرأة عند «نابوكوف»، لتعذر ظهور ذلك النموذج المضاد الذي تمثله شخصية «لوليتا». فعلى مستوى تكوين الميثولوجيا القومية، تكون للاديب نفس مسؤولية المخرج السينمائي، أو مؤلف أشرطة الرسوم المتحركة، أو المنتج التلفزيوني. ذلك أن آلية العمل متشابهة، لكن السياق أقل وضوحاً بقليل.

٤ ـ كما الإعلام، فإن الرواية تساهم في عملية تحريف واسعة فيما يخصّ الإستلاب. فما يتفق على تسميته بالجمال والأنوثة يصبح أدوات الزينة والتبرج والأزياء وطرازاتها المختلفة كأنساق اتصالية بين الرجل والمرأة، أي حلول سيمولوجيا الأشياء محل سيمولوجيا المفاهيم. بقدر ما تتوخى الرواية الأمريكية ان تكون قريبة من التجربة والواقع، وبقدر ما تستقر، في اللحظة ذاتها غالباً في اللاواقع والعجيب والخيال، بقدر ما تقدم ميداناً ممتازاً لدراسة استلاب متدرج في الواقع والوهم على السواء. لقد اعتمدت الحقبة المعاصرة اطاراً زمنياً لهذه المقالة لأنها تدشن في الولايات المتحدة عصر تعميم التعليم والإستهلاك الثقافي. فسابقاً، كان من النادر أن نسمع في السوبرماركت كونشيرتو منوعات موسيقية، أو أن نرى مقابل الأجنحة المخصصة لمنتجات «بروكتير إند غامبل» رفوفاً أنيقة تتحاذى فيها كتب الجيب من مؤلفات «ملفيل» و «بيلود» و «ميكي سبيلاني»... ومن المنظور ذاته فإن المرحلة المعاصرة أحيت حركة تبادل ضخم بين الرقابة التكنولوجية وغياب الرقابة الإنسانية.

شاء أم أبى، فإن للروائي في الولايات المتحدة دوراً سياسياً. وأجدى الأفكار الرئيسية لهذه السطور هي أن الروائي الأميركي ـ بمواجهة الإستلاب ـ قبل إجمالاً ونجح في وصف مظاهره (الطاعون، السرطان، الإيدز، غزو الفضاء) لكنه بدا في ذلك الوصف خجولاً لا بل متحفظاً في تحليل الظاهرة: قلّما جرى تفكيك وتحليل أواليات الرقابة.

إن ما نجده لدى مدمني «أونيل» ولدى أبطال «فوكنر» الحانقين وفي «قطار يدعى الرغبة» و «قطة ذات صفيح ساخن» و «طيران فوق عش الوقواق» وفي «لوليتا» وفي سائر القصص التي تتحدث عن مجانين هوليود أو عن مغامرات ربات البيوت المقيمات في الضواحي يسمعن «باخ» في المراحيض، إنما هو شكل متصنع من الحب. ففي هذه الأعمال يعلن الحب عن نفسه بصورة اقل كبتاً، لكنه عنصر أساسي في المجتمع الذي يظهر فيه وليس نفسياً له. إنه يظهر بصورة متوحشة، بذيئة، رجولية، شرسة، تقنيّة صحيّة أو ضريبة الجسد، أو فعل ميكانيكي يحركه بُرغي بيولوجي، خالٍ من أي مضامين نفسية ثقافية وجدانية، وبسبب ذلك على وجه التحديد تصالحي تساومي مع الواقع ومعدوم القدرة عن الفعل الإجتماعي.

اعتراضات ثلاثة تقف دون مبغانا:

الأول: أليس الروائي، ككل فنان، فوق الجدل الصاخب؟ إنه اعتراض مردود مقدماً.

الثاني: بخلاف العالم الإجتماعي، ليس من اختصاص الروائي تفكيك ميكانيزمات الرقابة. إنه اعتراض مرفوض، فبالإضافة إلى تبجح الروائي بأنه لايقدم إلى قارئه معلومات حول وضعه كأميركي، أغنى وأوضح من تلك التي يقدمها أي عالم اجتماعي، فهو لايتوانى عن اقتراح «تحاليل» معينة تندرج غالباً في إطار «الافق الحيادي» الآنف الذكر. زد على ذلك فإن علماء الإجتماع متحفظون أيضاً في تفسيرهم للميكانيزمات الأساسية، كأوالية الرقابة. والتحفظ نفسه نجده إزاء «السلطة» التي غالباً ما يتمّ تحاشيها باعتبارها مسألة سياسية. وهكذا لا بدّ من الإستنتاج بأن الصمت، في نظر الروائي وعالم الإجتماع ليس تقني الطابع (أدب مقابل سوسيولوجيا)، بل يقع على مستوى الخيار بين القبول بالوضع السائد، و ـ بعد إثبات الإستلاب ـ إعادة النظر في أسس هذا الإستلاب.

الثالث: يجب على الروائي مثله مثل أي عامل آخر (حرفي، مزارع؟) الاّ يعمل إلاّ في ميدانه الخاص، ميدان الكلمة والصورة. وعليه، فإن الأدب هو الميدان الذي يتعين على الروائي أن يحارب الإستلاب إنه اعتراض مهزوز: يمكن الموافقة على المبدأ القائل، أن على الروائي محاربة الإستلاب على صعيد الكتابة. وبالتالي نتوقع من الكاتب المعادي للإستلاب أن يثور ضد ما يمكن اعتباره على مستوى الكتابة نظيراً للإستلاب في الحياة اليومية، أي «التصوير الفوتوغرافي» والمنطق الأرسطي الذي ينصب لنا شراكاً، والمجاز الذي يوشك أن يستحيل زخرفةً. يمكننا أن نتوقع أيضاً بأن يمارس الكاتب المعارض علناً للإستلاب كتابة تمهيدية مبطلة للإستلاب. لكننا نرى أنه لاوجود لمثل هذه الحالة لدى الروائيين الأمريكيين المعاصرين باستثناء حالة «وليم بورّوغز» تقريباً.

وعليه فدور الروائي الأمريكي غامض: إنه يشهّر دون تشهير، يناضل بلا نضال، ويحلّق في اللاواقع، في لاواقع البلاغة الرسمية هذه المرّة.

لنفترض للحظة واحدة أن الروائي الأمريكي لم يعد يكفل البلاغة الرسمية (متخلياً بآن واحد عن المنطق الغربي الزائف وعن اللغة المجردة، واللهجة المستخدمة عموماً للاقناع)، وأنه توقف عن تثبيت مبدأ السلطة، وعن التساهل إزاء مبدأ القرار الأحادي الجانب (مطالباً مثلاً بعمل جماعي)، وأنه توقف عن دعم نظام الإستهلاك اللعابي/ الإفرازي (ألم يقرر بعض الفنانين ابتكار أعمال بالغة الضخامة بحيث تكون غير ممكنة النقل أو الشراء أو البيع؟!). ولنفترض أيضاً أنه ستستمر لفترة بعد سلطة الكلمة المطلقة، أي سلطة الروائي على القارئ. فكيف نتصور، في حالة كهذه، أنه يمكن لشخص مثل «نيكسون» أو «ماك كوفرن» أن يستمر في إدارة الشؤون العامة وفقاً للمبادئ التي تتحدى الإجماع (الجديد)؟ كيف يمكن متابعة حرب في العراق، كيف يمكن التلاعب في الإنتخابات؟ كيف يمكن تبني اعتقاد «كلينتون» بضرورة زيادة الناتج القومي الصافي؟. إن الروائي الأمريكي، بعدم تصديه صراحة للإستلاب رغم إدانته له، فإنه يلعب لعبة السلطة، ويعيد انتاجها، وبمواصلة هذه البرهنة يصبح ممكناً القول أن الكاتب الأمريكي، من خلال نتاجه، يقدم الدعم السياسي الذي يشهّر به خطابه...

بالطبع، المسألة لاتتعلق إلاّ بوضع نظري وبحالة قصوى إذ سيكون عبثاً الإعلان بأن روائياً «ليبرالياً» هو «فاشي». لكن بالإمكان التأكيد بأنه، بقدر ما يكفل قيماً معينة ويدعمها بقدر ما يساهم في بقاء (بل في إحلال) نظام كوليتاري بالمعنى الذي يقصده «ميلر». يمكن التأكيد على أن الروائي عندما يحلل سيرورات مميزة للإستلاب، يساهم في عملية إزالته.

إليكم على سبيل البيان خمس أواليات أساسية تظهر في الرواية الأمريكية:

أ ـ التطبيع: أي الميل إلى اعتبار معايير ثقافية معينة «طبيعية» وإلى اعتبار قيم معينة من صنع أفراد أو جماعات قيماً عامة. من هذا المنظور جرى تطبيع «المثلية الجنسية» من قبل بعض الروائيين.

ب ـ الإستبطان: أي التمثل التام للضوابط بحيث تنتفي الحاجة إلى الآخر ليدل على الطريق، فالضحية لاتعود بحاجة إلى جلاد. والسيد يختلط بالعبد. والتلميذ يصبح أستاذاً.

ج ـ مماثلة العام والخاص: وهذه محصلة سيرورة تاريخية. بالإمكان ملاحظة هذه السيرورة من خلال تطور الدولة (التي بقدر ما تكون مركزية بقدر ما تكون في خدمة أقلية ما). وكذلك تطور دور «الأنا» (الذي بقدر ما يكون متحرراً من الإلتزامات الخارجية بقدر ما يكون رازحاً تحت وطأة الإستلاب): في حالة «هيرتزوك» لايمكن القول أين هو الداخل، وأين هو الخارج، وفي حالة شخوص «فوكنر» الروائية أين يبدأ الخاص، وأين ينتهي العام.

د ـ الضبط: أي امتصاص الإنحرافات التي يمارسها افراد أوجماعات بعد فوات الأوان: (مثلاً ضبط طباق السادية/ المازوخية في روايات الجيش، ضبط طباق التلصصية/ الإستعرائية في الروايات حول الأنثى، ضغط طباق الحب/ الكره او الازدواجية الوجدانية في روايات الآباء والابناء). كل واحد له (أو يعتقد أن له) مصلحة في استمرار الوضع القائم. والضبط يخلق وحدة مصالح دائمة.

هـ ـ الإسترجاع: أي الإمتصاص، خلال التجربة، للإنحرافات التي تُقبل من أجل تعطيل طاقاتها الثورية. وهكذا تستقبل دار «ابيوني» مؤلفات «الملك جونز» وتفرد مجلة «نيوزويك» أعداداً خاصة لحركات تحرير السود، والهنود، والمرأة، والمواطن البورتوريكي. تماماً كما ترتب على رفوف المخازن العامة أسطوانات ميكروسيون، وأشرطة كاسيت لـ «مايكل جاكسون» و «مادونا» و «كرس ديبورغ» وكتب جيب المؤلفات، شيللي، بودلير، ماكوز، فروم... إن الصفة المشتركة بين سيرورات الإستلاب هذه، والتي يفككها الروائي الأمريكي احياناً، هي الرغبة في تجنب الإنتهاك اللامحدود ـ الذي هو: التغيير! ■■

مسرح

"الكراهية" لـ هادي المهدي

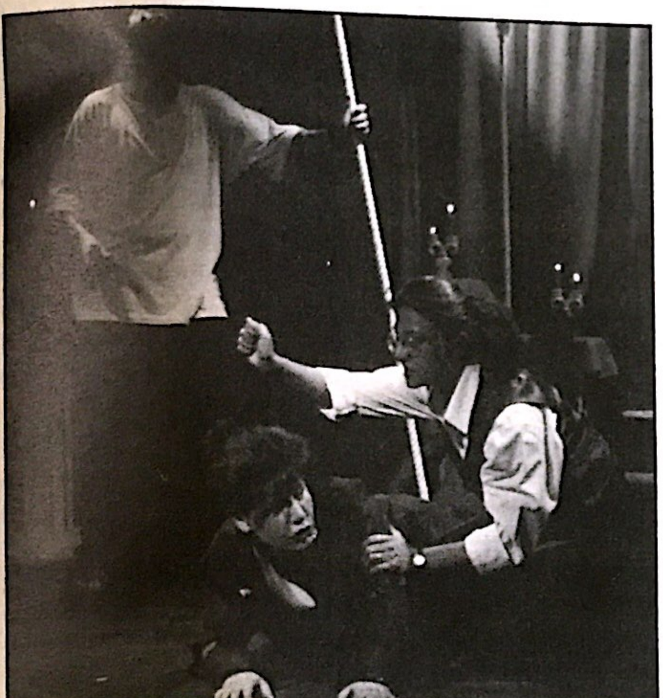
عن فيلم سوناتا الخريف لأنغمار برغمان

(نوسان بين ظلال الأضواء وعتمتها!)

علي الكردي

الكراهية لا الحب هي الموضوع الذي اختاره المخرج المسرحي (هادي المهدي) عنواناً لعرضه المسرحي «الكراهية» الذي شاهدناه مؤخراً على خشبة القباني بدمشق، عن نص فيلم «سوناتا الخريف» لأنغمار برغمان، فهل هو الضد الذي يظهر حسنه، أو قبحه الضد؟!

لعل الأمر، في الحقيقة أطياف من الأضداد المتراكمة، عبر سنوات من الركود البارد، والبطء والطفولة المقهورة والإستيهامات المريضة التي تتجاذب، وتتجاذب، ثم تتفاعل وتتصادم وفيما هي تخوض في مسيرتها الطويلة، الشاقة، المتعرجة هذه تتوق إلى الدفء وتنشد الحب، وتسعى بكل طاقتها إلى التواصل، والألفة الحميمة وإذ بها لاتحصد سوى القساوة الباردة المغلفة بالكراهية، والنوسان بين ظلال الأضواء وعتمتها ثم يأتي الموت كصرخةٍ عاتية، يصفع ويهدد ويعرّي هذا العالم البارد، الذي لايجيد سوى العنف والكراهية.



إيفا (ميديا رؤوف) إمرأة شابة تعيش مع زوجها فيكتور (طلال نصر الدين) في بيت هادئ، يوحي كل ما فيه بالأناقة والنظافة والجمال لكن هذا المظهر الخارجي سرعان ما نشعر أنه مجرد شكل لايعكس حقيقة العلاقة، المتوترة القائمة بين الزوج والزوجة اللذين يجمعهما سقف واحد، حيث يعيش كل منهما عزلته بعيداً عن الآخر، ورغم تفهم الزوج لحالة زوجته، والأسباب التي تجعلها غير قادرة على التواصل الدافئ معه، ورغم تقديره للحالة النفسية الإنقلابية التي تعيشها بعد فقدان ولدهما الوحيد (وهو في الرابعة من عمره) في حادث مأساوي نراه ـ عبر مونولوج ـ طويل ينفجر سخطاً على زوجته، وعلى هذه الحالة التي أشاعت في البيت مناخاً من الكراهية.

يحاول الزوج إعادة زوجته إلى ا لواقع وإقناعها بان ولدهما قد مات وانتهى، ولكن الزوجة لاتستطيع النسيان وترفض الإقرار بحقيقة فقدان ولدها، الذي تراه في أحلامها وتتحدث معه في حالة استيهامية، شبه كابوسية وفيما يعمل الزوج على إقناع زوجته في الكف عن كتابة الرسائل الإستغاثية المتواصلة إلى أمها (التي لاترد على رسائلها)، والعودة إلى الواقع، والتكيف معه يطرأ تطورّ مهم على الأحداث بسبب الزيارة المفاجئة للأم «شارلوت» (خديجة غانم) وذلك بعد طول انقطاع. هذا التطور يدفع الأحداث إلى ضفاف جديدة، تكشف لنا أن المستوى الأول الذي لامسناه لم يكن سوى السطح الأول البسيط، الذي يخفي وراءه أعماقاً وسطوحاً أخرى أكثر تعقيداً وجوهرية وربما رعباً.

فمنذ اللحظة الأولى تظهر الفجوة المرعبة بين الأم (الفنانة النرجسية، المتصابية، التي تعيش الحياة بكل صخبها وحسيّتها) وبين ابنتها (المكتئبة الحزينة على فقدان ولدها، والمنغلقة على ذاتها) ففي الوقت الذي تشعر فيه الإبنة بحاجتها إلى صدر أمومي دافئ لتبوح له بآلامها، نجد الأم غير مبالية، وملولة، لاتصغي وتغير مجرى الحديث، لذلك لاتستطيع الإبنة ردم الفجوة بينها وبين أمها لأنها فجوة من عدم التواصل والغربة بل والكراهية التي ترشح عميقاً في الأرواح المعذبة.

شيئاً فشيئاً، يبدأ الكلام «والكلام في جوهره ممارسة يومية للقتل أو بث الحياة..» والحديث «العابر عن الماضي» يكشف أنه لم يكن عابرا، وإنما أورث ندوباً، وجروحاً تنز.

لذلك، تبدأ سلسلة من المواجهات بين الأم وابنتها، فالإبنة تعيش تناقضاً وجدانياً (حب كراهية) تجاه أمها لذا فهي تتمسح بها أحياناً استجداءً لعواطفها وتهاجمها بقسوة أحياناً أخرى مستحضرة الماضي الذي تحاول الأم أن تتناساه، وتهرب منه، وحين تلمح الإبنة إلى عدم وفاء أمها

لأبيها، وعدم الإهتمام بها وباختها (المشلولة) تنفجر عاصفة غضب الأم بدورها متهمةً الإبنة بالغباء وعدم التفهّم لظروفها وطبيعة عملها المهني، فهي فنانة في الوسط الفني، وهذا بطبيعة الحال يتناقض مع أمومتها ومع كونها زوجة وربة أسرة عليها أن تفي بالتزاماتها، ومع ذلك كانت تفعل أقصى ما تستطيع فعله تجاه الأسرة، وكانت تضحي من أجلها. وفي لحظة مضيئة تحدثت عن العذاب الذي كانت تعانيه جراء التناقض بين الحياة في الوسط الفني الصاخب، وبين حلمها بلحظة هدوء تعيشها في أحضان اسرتها لكن ما إن تدخل بيتها، حتى سرعان ما تشعر بالملل ويقتلها الضجر، فتسارع إلى مغادرة البيت، لتهرب من عزلتها وتغرق نفسها من جديد في صخب العمل والتنقل والسفر.





أبعاد أخرى

تنكشف أبعاد أخرى لشخصية «شارلوت» الإشكالية بعد حديث مكاشفة وتعارف مع فكتور زوج ابنتها، حيث تشعر بميل ما نحوه، خاصة بعد أن تعرف مدى العزلة النفسية التي يعانيها بسبب عدم قدرة زوجته على التواصل معه بسبب هواجسها الدائمة وكوابيسها. شيئاً فشيئاً تبدأ شارلوت بإغوائه مستخدمة كل خبرتها وقوة شخصيتها وحضورها الجسدي والنفسي، ويكاد فيكتور يقع في الخطيئة، في مشهد تعبيري في غاية الجمال، حيث يبدو وكأنه المسيح مصلوباً على خشبة إغوائها، لكنه في اللحظة الحاسمة يتخلّص من ضعفه ويتحرر من سطوة هيمنتها، رافضاً السقوط في مستنقع المحرّم رغم النيران التي تأججت في داخله بعد أن أشعلتها «شارلوت» مستغلة حياتهم الرتيبة الراكدة.

تطور آخر

ثمة تطور آخر مفاجئ، يدخل على الخط، عندما تأتي أصوات لكأنها غير آدمية، قادمة من عمق الخشبة نسمعها ولانرى صاحبتها، إنها أصوات الأخت المشلولة وصراخها فهذه الشخصية لاتظهر على الخشبة، ويقتصر حضورها على صوتها وعلى إخبار أختها وزوج اختها عنها، حيث تطلب (إيفا) من أمها أن ترى «هيلين» أختها التي تبكي طوال الوقت لأنها علمت بحضورها، لكن الأم ترفض مشاهدة ابنتها المعاقة. ترفض بشكلٍ خجول في البداية (بالمواربة واللف والدوران) لكنها تنفجر في النهاية لتدافع عن موقفها، حين تضطر إلى تبرير هذا الموقف أمام زوج ابنتها الذي يتهمها بالقسوة وقلة الرحمة، فتكاد تنهار، فيما هي تعترف بعجزها وخوفها من المرض والموت، فهي تخاف أن ترى صدى صورتها في حالة ابنتها لذلك فهي تهرب وتغرق نفسها أكثر فأكثر في السفر والعمل وربما في أحضان الرجال، وبالفعل تتصل سرّاً بعشيقها طالبة منه أن يرسل بأي شكل من الأشكال برقية كي تكون الذريعة لتقطع زيارتها والهروب مرةً أخرى من مواجهة مصيرها وماضيها أمام ابنتيها لكن ذروة المأساة، أن الإبنة المعاقة التي لا نسمع سوى أنين صوتها وصراخ ألمها تفارق الحياة حزناً وكمداً، لأن أمها رفضت مشاهدتها.

حقيقة، قدّم المخرج (هادي المهدي)، وفرقة المعهد العالي للفنون المسرحية عرضاً مشغولاً باقتراحات بصرية وجمالية ومعرفية تنتمي «لروح الطقس المعاصر» واللافت في هذا العرض، أن ايقاعه الداخلي يشبه إلى حدٍ كبير حركة موسيقية تنساب في هدوء ثم تتصاعد وتتصاعد ومن ثم تعود وتهدأ. إن هذا الزخم في النوسان بين هدوء الحركة وتصاعدها، ثم تفجرها يقارب حركة أرواحنا المعذَّبة بهذا المناخ الخريفي الهادئ والحزين.

ولفت هادي المهدي الإنتباه إلى أنه أقل صخباً في عرضه المسرحي هذا من عروضه السابقة، لكنه في الآن ذاته أكثر عمقاً واتزاناً يحفر في دواخل شخصياته، وينقب ليكشف عن عمق وتعقيد وشفافية الروح الإنسانية المعطوبة، ويعيد صياغتها باقتراحات فنية وجمالية موفقة.

من الواضح أن الشغل على الممثل، كان الهاجس الأساس بالنسبة للمخرج في هذا العرض، حيث نجده يختبئ وراء الممثل، الذي تألق فطلال نصر الدين كان في اجمل حالاته، وخديجة غانم كانت محور العرض في مقاربتها لشخصية شارلوت الإشكالية المتقلبة، وقدمت بشكلٍ خاص (ميزانسيى) معبّر ومدروس ومتناغم مع الدلالات والحالات الإنفعالية التي كانت تقاربها وكذا كانت ميديا رؤوف التي لعبت دور «إيفا» بقوة، وجسّدت الكراهية بالتعبير والحركة والصوت على نحو لافت..

حاول المخرج المزج في بعض المشاهد بين تقنية المسرح وتقنية السينما، وقد لعبت الإضاءة دوراً هاماً هنا في مزج الخطوط ورسم حالة التماهي بين العالمين، كذا لعبت الإضاءة دوراً دلالياً هاماً، في خلقها عالماً نصف مضاء، يتحرك في ألوان أقرب إلى وهج الأحمر الكابي دلالة على هذا الصخب والتوتر الداخلي الذي يميل إلى ضبط النفس والتوازن الخارجي.

ثمة ملاحظة على الأغاني التي رافقت العرض. فهي أولاً تنتمي إلى مرجعية ثقافية وروحية تختلف عن مرجعية العرض (على الأقل) في السياق الذي قُدّم لنا، وإذا صرفنا النظر عن هذه النقطة فإن الصوت العالي للغناء كان يطغى أحياناً على الحوار وفي أحيانٍ أخرى لم يكن يتلاءم مع اللحظة الدرامية المعطاة ■■



الألم الفلسطيني في رواية "باب الشمس"* للكاتب الياس خوري

صابر محيي الدين

الرواية صدرت مطلع هذا العام 1998م، وهي تقع في 525 صفحة من القطع المتوسط، وبحدود معرفتي، فإنها الرواية الأولى التي تسعى لتوثيق أحداث النكبة الفلسطينية عبر سرد عشرات الحكايات، بلغة جميلة وأسلوب جذاب ومؤثر، على لسان أبناء النكبة، الذين عايشوا فصولها قبل وأثناء وبعد ١٩٤٨، وأعتقد أن الكاتب نجح في توثيق رواية الشعب الفلسطيني لمأساته، وقصة اقتلاعه من أرضه وتشريده عن وطنه، بقوة السلاح والارهاب الصهيوني، الذي مورس بدون رحمة ضد كل أبناء الشعب الفلسطيني رجالاً وشيوخاً، نساء وأطفالاً، فالرواية تحكي عشرات بل مئات القصص عن المذابح والمجازر وأعمال القتل والارهاب والتشريد التي مورست ضد الشعب الفلسطيني في مدنه وقراه المختلفة، وهي تحكي أيضاً عشرات الحكايا والقصص عن المقاومة الفلسطينية والعربية الشعبية بمواجهة مخطط الاقتلاع والتشريد والاستيلاء على الأرض، وتُظهر عبر سرد روائي شيق وشفاف، تواطؤ الأنظمة العربية القائمة حينذاك في حرب ١٩٤٨.

إلى ذلك كله تواصل الرواية سرد الأحداث والتطورات التي شهدتها القضية الفلسطينية بعد العام ١٩٤٨، وتشير إلى حكايات التسلل ومحاولات العودة، وإلى المقاومة الفلسطينية في الخمسينيات والستينيات بحدود ما كانته، إلى أن تصل للثورة المعاصرة بعد العام ١٩٦٧، وتتابع سرد الأحداث، لكن باختصار، وصولاً لاتفاقيات أوسلو، والرواية تبدأ من غرفة في المستشفى الذي يرقد فيه الرفيق الشهيد أبو صالح، في غيبوبة طويلة، وتنتهي بموته في الغرفة إياها أو ذاتها. ويروي الكاتب الحكايات التي تناولتها الرواية بأحداثها ومواقعها وأشخاصها على لسان الشهيد أبو صالح وعدد آخر من الناس في تداخل وتشابك جميل وجذاب ومشوق ومؤثر جداً. ويقول في ثنايا الرواية ان جورج حبش الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين كان قد طلب إلى الشهيد غسان كنفاني كتابة قصة أبو صالح «المعروفة لنا جميعاً»، في وجهيها النضالي والانساني، في ذهابه وايابه إلى الداخل طوال الخمسينيات والستينيات وانجابه مجموع أبنائه أثناء تلك الزيارات. وان غسان حمل رسالة جورج حبش لأبي صالح بهذا الخصوص.

الرواية التي توجه في سردها للأحداث النقد للمقاومة الفلسطينية المعاصرة، هي رواية قيمة جداً على غير صعيد. وأعتقد أن الكاتب بذل جهوداً كبيرة لجمع حكاياتها ووقائعها وأحداثها من البدايات.. مروراً بأحداث تل الزعتر والحرب الأهلية ومجازر صبرا وشاتيلا وصولاً كما ذكرت رابعاً لأوسلو. وهو في نهاية روايته يوجه الشكر للعديد من الأسماء التي ساعدته للوصول إلى عشرات الناس في مواقع مختلفة من لبنان لجمع ما استطاع جمعه من حكايا ووقائع، صاغها بأسلوب روائي محبوك جيداً. وهو يذكر اسم الرفيق أبو نزار وزوجته وآخرين.

الرواية تستحق الاهتمام، وتستحق أن تبذل الجهود لترجمتها إلى لغات عديدة في العالم، لاطلاعه على رواية الشعب الفلسطيني لمأساته وقصة لجوئه وتشرده ولمختلف أشكال القتل والقمع والقهر والطرد والتهجير التي تعرض لها... وتستحق جهود راويها الياس خوري كل تثمين ■■

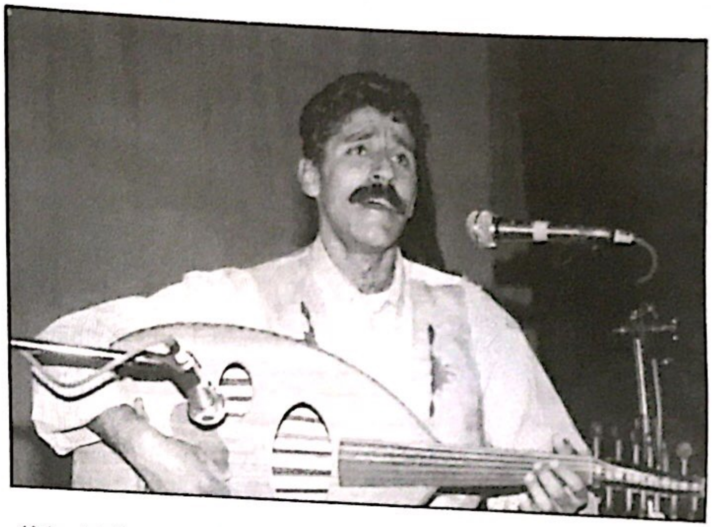
* ملاحظة: «باب الشمس» هو اسم المغارة التي كان يقضي فيها أبو صالح وقته خلال النهار ـ هو وزوجته، وهي مغارة ليست بعيدة عن قريته، وفيها كانا ياكلان ويشربان، وقد وظباها بحيث يتمكن الشهيد أبو صالح من الاستحمام... الخ.

حوار مع الفنان المغربي جمال الدين بك

لايمكن لأي فنان تجاهل فلسطين..

حاوره: ادريس علوش

أصيلة/ المغرب



الفنان المغربي الملتزم جمال الدين بك أحد الفعاليات الغنائية التي أثرت الحقل الفني الغنائي بالمغرب عبر أغانيه ذات المحتوى الإنساني الملتزم بالقضايا المصيرية لعموم الأمة العربية: فلسطين، العراق، ليبيا.. لايزال يواصل مساره الفني بخطىً ثابتة لأجل كسب رهان هذا الإختيار الفني الذي يتخذ من الإنسان العربي موضوعاً للإنشغال، والبحث والتنقيب.. في المغرب كان لنا معه هذا الحوار الذي نضع نصه كاملاً بين أيدي قراء مجلة الهدف.

□الفنان جمال الدين بك، ماذا لوحدثتنا عن بداية مسارك الفني..؟ ولماذا الأغنية الملتزمة؟

■■بداية أتوجه بالشكر والتحية لصحيفة الهدف الفلسطينية التي أتاحت لي فرصة التحدث إلى شعب فلسطين الذي أحييه من خلالها على نضاله وصموده أمام الجبروت والتعنت الإسرائيلي، فلهذا الجمهور مني ألف تحية.

بدايتي كفنان كانت في سنة ١٩٨٦. علماً أني أغني وأعزف منذ طفولتي، لكن هذه السنة كانت بمثابة تحديد لمساري الفني. حيث وجدتني أغني لمارسيل خليفة والشيخ إمام ومجموعة العاشقين. هؤلاء الفنانون الذين تعرفت على ابداعاتهم من خلال ممارستي للعمل الجمعوي وبالضبط من قلب جمعية المواهب والتربية الإجتماعية والتي أنا أحد أبنائها. ففي هذه السنة (٨٦) كانت لي أول مشاركة حقيقية في الحقل الفني والتي كانت في إطار مهرجان وطني للتضامن مع الشعب الفلسطيني وغنيت خلالها أغاني لهؤلاء الفنانين الذين ذكرتهم آنفاً.. كأغنية يامام ويني الهوا، هبت النار، بقرة ماما.. من هنا بدأت مسيرتي وفي سنة ١٩٨٩ عرف مساري الفني قفزة نوعية حيث أبدعت أغاني خاصة هكذا لحنت بعض قصائد محمود درويش وبعض الأشعار لشعراء مغاربة جادين، كمحدرمو، لطيفة الأزرق، تيموريا عبد اللطيف، سعيد منتسب.. وأنا الآن في طور تلحين إحدى قصائد الشاعر عبد الوهاب البياتي.

أما لماذا الأغنية الملتزمة فاعتقد شخصياً أننا في العالم العربي مازلنا في حاجة إلى هذا اللون الفني خصوصاً وأننا نعيش مصاعب لاتطاق فاحتلال فلسطين ليس بالشيء الهين وتجويع شعب العراق شيء فظيع والحصار المفروض على ليبيا نوع من الإستعمار في قالب آخر قالب النظام العالمي الجديد. ولابد للفن إذن أن يؤدي دوره بخصوص هذه القضايا التي تنضاف إليها هموم الشعوب العربية داخل أوطانها.

ولعل التربية التي تلقيتها داخل أسرتي وداخل الجمعية التي أنتمي إليها وجهاني إلى حد ما فيما يخص اختياري الفني بل لايمكن أن نتحدث حتى على اختيار فقد وجدتني تلقائياً أحب هذا اللون الفني.

□حول التسمية: الأغنية الملتزمة، الأغنية السياسية.. الخ هل تتفقون على هذه التسميات أم أن الأمر لايغدو إلا يكون تعبيراً عن التمييز بين مستويات الأغنية أم أن لديكم تصوراً آخر؟

■■التسمية برأيي لاتهم المهم ان هذه الأغنية لاتخدش الحياء وتحمل مضموناً فيه إفادة وتعبر عن صوت المهضومة حقوقهم فالدخول في جدل التسمية أظن لاداعي إليه المهم في الفن الغنائي ككل هو الجودة في اللحن والكلمة والأداء.

□من داخل الإشتغال على الأغنية الملتزمة كيف يتم التعاطي فنياً مع القضية الفلسطينية باعتبارها أهم القضايا العربية؟

■■نصف الجواب كان في سؤالك فالقضية الفلسطينية هي أهم القضايا العربية كما قلت، فلا يمكن بأي حال لأي فنان، أن يتجاهل هذه القضية فهناك أخوة لنا في فلسطين يموتون وآخرون يعيشون شتى أنواع التنكيل وأراضٍ تغتصب فكيف نسكت عن هذا؟! وما نقوم به نحن الفنانين الذي نغني لفلسطين ليس إلا جزءاً بسيطاً نعبّر من خلاله عن تضامننا مع إخوتنا في فلسطين ورسالة نوجهها إليهم نقول لهم فيها إننا معكم ونتتبع صمودكم رغم المسافات، كما نحاول أن نؤثر بهذه الأعمال الفنية على الرأي العام الدولي لحل مشكلة فلسطين. وفي نفس الوقت نذكر شعبنا هنا أن هناك إخوة لنا يعيشون المحن فلنكن معهم.

□إذا طلبت منك أن تعرف في جمل قصيرة هاته الأسماء ما الذي تقوله؟

■■- مارسيل خليفة: فنان عربي كبير سمعت أول شريط له سنة ١٩٨١ كنت حينها طفلاً.

- مصطفى الكرد: سمعت بعض أغانيه وأعجبتني.

- العاشقين: فرقة غنيت لها وأتمنى أن أراها.

- سعيد المغربي: فنان السبعينات بامتياز، رائد من رواد هذا اللون الفني الذي أغنيه.

- فيروز: الصوت الملائكي.

□كلمة أخيرة لقراء الهدف.

■■هدفي وأملي أن أزور فلسطين وأغني لشعبها المناضل وأعانقه عن قرب وأن أصلي معه في القدس ■■

الفنان عز الدين شموط لـ "الهدف":

أنا لا أقلد الطبيعة بل أسير على خطاها

حاوره سعيد البرغوتي

في كل معرض يقيمه الفنان عز الدين شموط يفاجئنا بجديده، وكأنه يرفض الثبات على أسلوب، بل كأنه دائم البحث عن طرق جديدة تتوالد من خيالٍ جامح متمرد على التأطير والطقوس الجامدة.. فعملية الإبداع لديه مشروع مفتوح على كل طرق وأدوات التعبير التي عليها أن تتجاوز المألوف والمعتاد لتحقق في النهاية شرط إبداعيتها.

وأعمال شموط على تنوعها تكاد تكون مشمولة بالتبسيط والغنى والتوظيف المكن والمدهش للأسر اللونية التي تحيلنا بمجموعها لإيقاع مريح للرؤية والتفكير.

في معرضه الأخير بصالة نصير شورى كان للهدف مع الفنان شموط هذا الحوار:



□في كل مرة تعرض فيها أعمالك، نلاحظ شيئاً جديداً، وكأنك تصر على رفض الصيغ الثابتة والقوالب مسبقة الصنع، فما هو الثابت وما هو المتحول في أعمالك؟

■■لنبدأ أولاً بالمتحول: نعم أنا أرفض طرق الأداء الجامدة والمتكلسة، فالأسلوب بالنسبة لي ليس هدف التعبير والإبداع، بل هو وسيلة. إن تحول عملية الرسم إلى طقوس جامدة، تشبه دودة القز التي تحيك حول نفسها الشرنقة التي ستقتلها. فانا لست عبداً لطرق محنطة تحول العمل لإيقاع ميكانيكي يتكرر، فعملية الرسم بالنسبة لي هي مناسبة للكشف عن أصول وطرق جديدة يستجيب بشكل أفضل للخيال التشكيلي. إن الفنان لايعرف حدوداً لعملية الإبداع.

إن كل عمل فني قابل للإخراج والتحليل الشكلي والتقني متعدد الحلول والنتائج، فالأسلوب وجد ليخدم التعبير، وهو ليس مفردات وأصولاً ثابتة، ولكي لايكون كذلك عليه أن يتحول إلى طاقة تعبيرية تشكيلية، لأن اللوحة ليست تجميعاً ميكانيكياً لخطوط وألوان. إن الصياغة التشكيلية تبقى ذات علاقات قلقة غير ثابتة إذا لم تجد معنى ترسو عليه.

أنا أبحث عن علاقات تشكيلية أكيدة تعبر عن حالة راهنة مبررة ومقبولة تخرج عن المألوف والمعتاد.

أنا موجود في وسط ثقافي متنوع وشديد الغنى، هو عبارة عن متحف يجمع أعمالاً رائعة تعود إلى عصور مختلفة، وبما أن الهدف هو الإبداع والتجديد، واكتشاف قيم جمالية إيجابية، وفي الوقت الذي يرث كل اسلوب صيغاً تشكيلية من الماضي، عليه أن يغتني من تجارب الحاضر، ليشير إلى مستقبل تشكيلي جديد. فكل لوحة جديدة هي عبارة عن نافذة مفتوحة على تجربة جديدة.

أما الثابت، فانا أحاول في أغلب الأحيان تبسيط الأشياء المرسومة، لأبعدها عن التعقيد، ومن ثم أدفعها نحو حالة مثالية مكتملة خالية من سوء الصنع. فانا لا أقلد الطبيعة بل أسير على خطاها. فانا أبحث عن التوازن بين الحقيقي والمثالي.

إن التبسيط والإختصار لايعني إفقار اللوحة من التفاصيل الضرورية، لكن على المحصلة العامة للأجزاء أن تكون مقنعة لعين المشاهد. وعلى اللوحة أن تكون مريحة للرؤية وللفكر، مع احترام الواقع ومعاييره المنطقية. (دون تجاهل الصنعة والعارض). أنا أعتقد أن اللوحة يمكنها أن تعطينا صورة حقيقية عن الأشياء وعن ماضيها وعن مستقبلها، وعما يجب أن تكون عليه.

أنا أستخدم النسبة الذهبية، ومبدأ الهيكل العام، وأصول التكوين المفتوح، ومبادئ الهارموني والإيقاع، والأسر اللونية. أنا أدعو عين المشاهد للتجوال بعالم تشكيلي منظم حسب الإنسجام العلوي المعتمد على التوزيع والحساب الهندسي الذي يحمل عالماً طبيعياً، ليخرج عالم الجبر والرياضيات والهندسة من شروطها الجامدة، كالفصل والتميز والتجريد. فانا أربط هندسة اللوحة بالعاطفة والإحساس الجمالي الصادر عن أشكال وقواعد إنسجام بعيدة عن الأرقام العددية رغم أن هناك جماليات لها قانونها الناظم كالنسبة والتناسب. فانا أتوخى في عملية الوصول إلى أسلوب مريح للبصر حيث الأرقام تختفي ولايبقى سوى دليل بصري لها، لأن التعلق العاطفي والفكري والروحي أو الجمالي بالأسلوب لايمكن قياسه بالأرقام.

إن التكوين في لوحتي يأخذ بعين الإعتبار تقاطع الأقطار للوحة، ونقطة التقاطع هي مركز انطلاق ولقاء الإشعاعات الموجهة. إن مركز انطلاق الرؤية هو في وسط اللوحة. وأنا أميل إلى التوازن في توزيع الضوء وإلى مفهوم الحيز المفتوح الذي يكره الفراغ.

● كل لوحة جديدة هي عبارة عن نافذة مفتوحة على تجربة جديدة

□من الملاحظ أن لوحتك تشكل نقطة تقاطع لأساليب متعددة. فهي ذات ملامح كلاسيكية، وباروك، وواقعية متطرفة، وأحياناً سريالية وتكعيبية. فكيف تصف توجهاتك التشكيلية؟

■■نعم تبقى لوحتي في مفترق عدة اتجاهات وأساليب، وهي متحدرة من الفن الكلاسيكي والواقعي والأكاديمي والمانييرسم والباروك.. الخ. فأنا أعمل خارج اعتبارات نقاد الفن وتقسيمهم لمسيرة تطور الطرق إلى مدارس منفصلة. أنا لا أعود إلى هذه الأساليب بل أعتمد على قيمها التشكيلية التي مازالت تدهشنا، فهي قيم أكيدة مستمرة. ولانستخدمها في عملية الإبداع المعاصر، أنا لا ارسم أسطورة قديمة بدقة، لأنني لست بمؤرخ، وأنا لا أقدم رسماً توضيحياً، بل استخدم بعض الأساليب القديمة والحديثة خارج نطاق زمانها ومكانها لإعطائها صفة معاصرة ومحلية.

فرغم القرابة والصلة التي تجمعني مع الواقعية المتطرفة مثلاً، فهي ليست هدفاً نهائياً للوحتي. ورغم أنني أحترم التفاصيل والدقة في التنفيذ، وأحترم المظاهر المرئية للأشياء الطبيعية، فإنني لا أقصد نقل الواقع كما هو، أي إظهار الأشياء على حقيقتها وتقريبها من ذهن المشاهد عن طريق تسجيل ملمسها، أو حجمها.. بل اسعى في أغلب الأحيان إلى تضخيم صفاتها، والتلميح إلى تفاصيل غير مرئية وصفات طارئة.

نعم يوجد في لوحتي معالجات للظل والنور حسب الأسلوب الكلاسيكي وتأثر برامبراندت وجورج دولاكروا، لكني أضع هذه التأثيرات في صياغات جديدة ومعاصرة، فأنا لا ارفض أبداً وصف أعمالي بالكلاسيكية والأكاديمية والباروك.. الخ. لكنها تبقى بين السجاد والقماش الشرقي، وبيوت دمشق القديمة مع الطبيعة الصامتة.

نعم، إن الحدود التي تفصل الأساليب قد تحطمت اليوم، وصارت عملية الإبداع تنعم بالحرية، لأن هدف النشاط الفني الأول هو تحقيق وتجسيد صور الخيال بعمل لوحة معبرة، لذلك فكل الوسائل والأساليب تصبح مشروعة.



□لاشك أن احترام الاسلوب بلوحة يعني الخضوع لقواعد وطرق ثابتة بالإخراج، فأين نجد الأسلوب الذاتي الصافي الذي دعا إليه بعض علماء الجمال وخاصة الفن التجريدي؟

■■للجواب على هذا السؤال لابد لنا من العودة لتحديد مفهوم الأسلوب. إن مدلول هذه الكلمة في القرن الخامس عشر، يعني صورة أو رسماً يحمل في نفس الوقت حكماً وقراراً وقاعدة في الحياة. كان يقوم برسم هذه الصور الجنود الإيطاليون على أسلحتهم، للتعبير عن نوع من الإعترافات الذاتية المعلنة. بينما كانت المدرسة الكلاسيكية التي تأثرت بتعاليم أفلاطون التنزيهية تدعو إلى الجمال المطلق المثالي، فهي تصر على الموضوع النبيل في اللوحة، وعلى اسلوب ومشاعر وعواطف الفنان، وعلى لمسة فرشاة الألوان أن تتراجع وتختفي، لتتكلم الروح إلى الروح، خارج إطار الصنعة والمتغيرات. وعند رسم الآلهة والأبطال يجب استبعاد التدخل الذاتي للفنان، وكذلك رغباته، لإظهار فقط الرائع والخالد والمطلق.

وكرد فعل على الكلاسيكية ظهرت مدرسة المانييرسم، وهي مأخوذة عن الكلمة الإيطالية مانييرا، المشتقة من كلمة MANUS أي اليد أو الأسلوب الشخصي أو الذاتي للفنان. هذه المدرسة امتازت بالعناية الخاصة بالتنفيذ، وإضافة النادر في الصفات الطبيعية، لقد تأثر هذا الإتجاه الفني بتعاليم أرسطو التي تقول:

«إن كل فعل وكل فكر ليس إلا تعبيراً ذاتياً عن نشاط الإنسان»

ومن ذلك نستشف أن الفن التشكيلي هو فن مركب، ولايمكنه أن يكون أحادي الجانب. فالاسلوب والتعبير العاطفي والمعنى هي أعمدة هذا الفن. لهذا منذ عام ١٥٥٠ وضع جيوتو خمس قواعد أساسية للاسلوب:

١ـ على الرسم أن يكون واضحاً ومفهوماً، ولكن بشرط ألا يكون تقريرياً أو علمياً مسطحاً تماماً، لأن التعبير لايقلد تماماً بل يشير إلى شيء ما، فهو يترجم بتصرف.

٢ـ على التعبير أن يكون معتدلاً وغير متطرف، لكي لايضحي بالصورة ومهارة الصنع لحساب العاطفة الجياشة والغير موزونة.

٣ـ على الرسم أن يحمل إحساس وفكر الفنان، كما يعبر بنفس الوقت عن احاسيس الآخرين، وعن الأحداث والمواضيع، كالخوف والخشوع والحب.. الخ. فهي مواضيع خارجية يتأثر ويؤثر بواسطتها الفنان.

٤ـ حتى يكون العمل الفني طبيعياً وصادقاً، على الفنان ألا يهمل التفاصيل، وهذا ضروري للتعبير عن فكرة محددة بعيداً عن الميتافيزيق الصرف، لأن كل إحساس طبيعي هو صادق. فالفنان لايمكنه إقناع الناس برسوم كاذبة ومشاعر وهمية باعتماده على التحذلق بالأسلوب.

٥ـ إن المهم بالعمل الفني ليس فقط العدوى العاطفية، بل ايضاً اللذة الجمالية وحسن الأداء الفني.

وهكذا فنحن نرى أن شروط جيوتو التعبيرية عبارة عن مصالحة بين الأسلوب والخيال والتعبير. فهي تحدد طبيعة النشاط الفني المركب، الذي يدل على تمفصل وتحرك الفكر والخيال، إنه تعبير عن أفكار وأحاسيس بشكل مادي ملموس، فهو نشاط بواسطة مواد وأدوات وطرق مختلفة ■■

● الحدود التي كانت تفصل الأساليب قد تحطمت، واصبحت عملية الإبداع تنعم بالحرية

ببلوغرافيا

عز الدين شموط فنان سوري مقيم في باريس

● خريج كلية الفنون الجميلة في دمشق عام ١٩٦٦، خريج البوزار باريس عام ١٩٧٤ـ مدرس في كلية الفنون الجميلة في دمشق عام ١٩٧٤ـ دكتوراه الحلقة الثالثة في الفن التشكيلي باريس عام ١٩٨٤ـ دكتوراه دولة في الفن التشكيلي باريس عام ١٩٨٧.

● أقام عدة معارض فنية بين فرنسا ولبنان وسوريا واليونان آخرها في دمشق عام ١٩٩٨.

● شارك في أكثر من خمسة وعشرين معرضاً جماعياً في أوروبا والبلدان العربية.

● له مقتنيات فنية في المتحف الوطني في دمشق ومتحف الفن الحديث في باريس والمكتبة الوطنية الفرنسية ومتاحف عربية أخرى.

● له عدة مؤلفات في الفن التشكيلي.

عزف منفرد

مات ملك "التيرسو"

ليس كثيراً عليه، أن تفرد له الصحافة العربية صفحات كاملة للحديث عن حياته، وفنه، وميتاته المتتالية، فهو الملك، وأي ملك؟! إنه ملك التيرسو، الذي تربّع على عرشه على مدار خمسين عاماً، وحين غادر ليلة ٢٧ تموز الماضي كان في رصيده أكثر من ٤٠٠ فيلم، مع العديد من المسرحيات التي اشتهرت منها (شارع محمد علي)، والعديد من المسلسلات التلفزيونية أشهرها: «صابر يا عم صابر» و«البخيل وأنا»، و«العرضحالجي».

إنه إذن ملك التيرسو (رواد الدرجة الثالثة في دور العرض)، ملك الفقراء الذين يحتشدون بالمئات كي يشاهدوا من خلاله صدى صورتهم تتلاحق على الشاشة، وفيما هم يتماهون مع مليكهم الذي يصرخ، ويلكم، ويركل، ويضرب، ويرمي أرضاً تتصاعد صيحاتهم: صفيراً وضحكاً، وانفعالاً حاراً بمعاركه وزئير صرخاته.

لقد حاز فريد شوقي على هذا اللقب بامتياز لأنه كان حاضراً عبر مئات الأفلام التي رسخت الصورة بقوة رغم تغيرات المناخ، وانقلاب الأمزجة بين مرحلة وأخرى لقد مثّل دور الفتوة، ابن الحي الشعبي، الشهم، القوي، الذكوري، المعادي لقوى الشر وعصابات الحشيش والكوكايين وقوادي الكباريهات... إنه حتى في الأدوار الشريرة التي مثلها، حملت صورته انزياحاً ما عن صورة (الشر المطلق)، الذي لم ينطبق تماماً على شخصيته، لذلك سرعان ما كان يرتد لخدمة العدالة بطريقةٍ أو بأخرى.

السر يكمن هنا، إن صورة فريد شوقي الانسان، تتطابق إلى حد كبير (بأذهان جمهوره) مع شخصياته التي مثّلها، وحفر لها، حتى شكّلت هذا الحضور الطاغي على مدار الأعوام وتباين الأدوار ■■

علي الكردي

فريد شوقي في سطور



- ولد في ١٩٢٥/٧/٣٠، في شارع زينهم، حي البغالة في القاهرة.
- والده محمد عبده شوقي، جده لوالده وجدته لوالدته من أصل تركي.
- تزوج أربع مرات، وله أربع بنات.
- درس المرحلة الثانوية، ثم انتقل إلى التمثيل السينمائي، فدخل معهد التمثيل وتخرّج منه مع فاتن حمامة ونعيمة وصفي.
- مثل العديد من المسرحيات في المسرح القومي، ومثل في القطاع الخاص، من مسرحياته «شارع محمد علي».
- مثل أكثر من ٤٠٠ فيلم، وبرع في دور الشرير والفتوة حتى لقب بـ«ملك التيرسو». ومع تقدم عمره لعب دور الأبوّة. ومن ألقابه «وحش الشاشة» و«الملك».
- من أفلامه: ملاك الرحمة (١٩٤٧) وهو أول فيلم له، قلبي دليلي (١٩٤٩)، العقل زينة (١٩٥٠)، الصقر (١٩٥٠)، أمير الانتقام (١٩٥٠)، أشكي لمين (١٩٥٠) الأسطى حسن (١٩٥٢)، حميدو، جعلوني مجرماً، صراع في الوادي، تجار الموت، باب الحديد، بور سعيد، الفتوّة، الأخ الكبير، بداية ونهاية، وبالوالدين احساناً، لا تبك يا حبيب العمر، كلمة شرف، عنترة بن شداد، إجازة صيف، اللصوص الثلاثة، رصيف نمرة ٥، السقا مات.
- له العديد من المسلسلات أشهرها: «صابر يا عم صابر»، و«البخيل أنا»، و«العرضحالجي». توفي في ٢٧ تموز ١٩٩٨.

«حارس المدينة الضائعة» لإبراهيم نصر الله

صدر حديثاً، رواية جديدة للشاعر والروائي ابراهيم نصر الله بعنوان: «حارس المدينة الضائعة» وهي منفتحة على «الروح العارية لهذا العالم في أقصى حالات غربتها في نهايات القرن على المستويين: العربي والإنساني العام، في أجواء تلامس أدب الخيال العلمي، والسخرية السوداء، المدفوعة إلى حدود الرعب».

كتابات لعصام محفوظ

عن شركة المطبوعات في بيروت صدر حديثاً للكاتب عصام محفوظ كتابان من اختياره وتقديمه الأول: «مختارات من الشعراء الرواد في لبنان ١٩٠٠-١٩٥٠» الذين قادوا مرحلة التجديد بين أول القرن ومنتصفه (خليل مطران، الأخطل الصغير، أمين نخلة، القروي، إيليا أبو ماضي، يوسف غصوب، الياس أبو شبكة، بولس سلامة، فوزي المعلوف، صلاح لبكي، سعيد عقل، ويوسف الخال).

ويتضمن الكتاب نموذجاً من شعراء العامية هو ميشال طراد، وآخر من شعراء الحداثة وهو: شوقي أبو شقرا.

الكتاب الثاني: «عشرون روائياً عالمياً يتحدثون عن تجاربهم»، وهم: غبريال غارسيا ماركيز، ألبرتو مورافيا، ياشار كمال، نورمان مايلر، لوي، فرديناند سيليي، طوني موريسون، أمبرتو إيكو، كلود سيمون، آلان - روب غرييه، أناتولي ريباكوف، مرغريت دوراس، اسماعيل قدري، غراهام غرين، كترابورو، جون لوكاريه، جورج أمادو، ميشال بوتور، داي براد بوري، كارلوس فوانشر، وناتالي ساروت.

التاريخ الإجتماعي للمغرب والأندلس

صدر للدكتور إبراهيم القادري بوتشيش (أستاذ التاريخ في جامعة مولاي اسماعيل - مكناس) كتاب «مباحث في التاريخ الإجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين» عن دار الطليعة في بيروت.

يحاول الكاتب تقديم مسح شامل لمختلف الأثنيات التي شكلت الخريطة البشرية، والتطور الديمغرافي في حقبة المرابطين، انطلاقاً من رصد كل الهجرات والتحركات القبلية الواسعة، ويطمح إلى تقديم قراءة جديدة للتشكيلة الطبقية في المدن والحواضر والبنية القبلية في البوادي.

ويعمل الكاتب على كشف الكتابات التي رؤجت لها «الكتابات الإستعمارية» وإثارة أسئلة مفتوحة حول النصوص والإسقاطات النظرية والحلقات المعتمة في التاريخ الإجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين.

عدد جديد من دورية «البيان» الكويتية

صدر العدد الجديد من مجلة «البيان» الأدبية، الثقافية، الشهرية كعدد مزدوج ٣٣٦-٣٣٧ - يوليو - اغسطس ١٩٩٨.

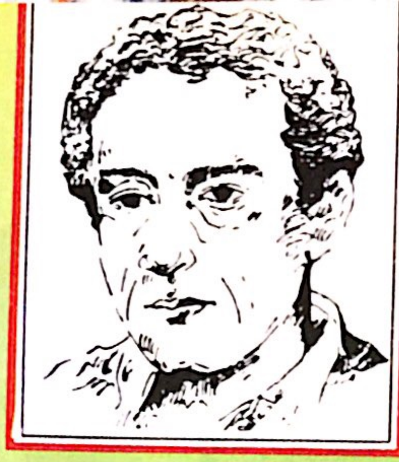
يضم العدد مجموعة دراسات: في تاريخ الحضارة العربية - الاسلامية للدكتور فؤاد المرعي، وصفحات من التراث «علي بن الجهم» لـ أحمد السقاف، ونقاش في موضوع العدمية، ترجمة محمود منقذ الهاشمي، اللص والكلاب لـ د. محمد البصير.

في باب الشهادات، نقرأ شهادة القاصة فامة يوسف العلمي، والدكتور بديع حقي.

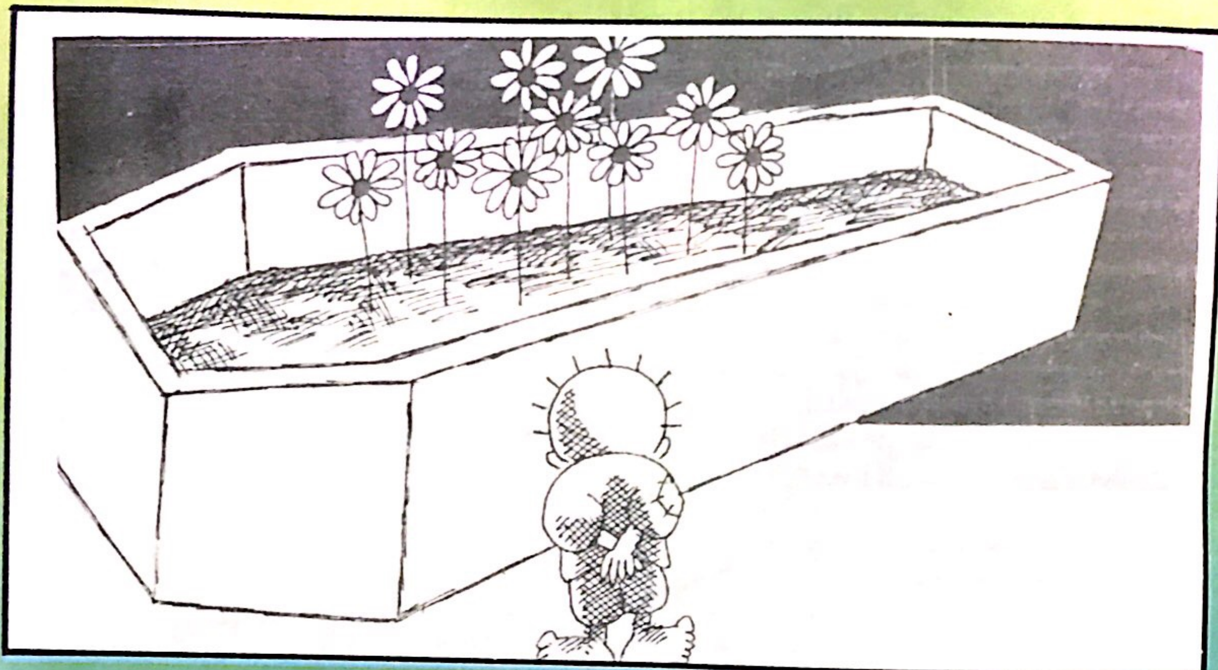
شتاء البحر



وعن دار كنعان بدمشق، صدرت حديثاً مجموعة قصصية بعنوان «شتاء البحر» للكاتبة غزالة درويش، ومما جاء في تقديم محمد جمال باروت للمجموعة: (...) يلتقط هذا العالم السردي تفاصيل نثر الواقع والحياة أي ما يشكل «اليومي» في حالته المباشرة متشظية وممتزجة بعقد الكائن وانبجاساته المتوترة، وقد وجد نفسه مرمياً في بوابات الجحيم، وليس في جعبته سوى أطياف أحلام صغيرة مكسورة، وكريستال مشوه من أشياء وأشخاص وأمكنة وتواريخ ممزقة، تتقدم بكل أشلائها نحو الهاوية.

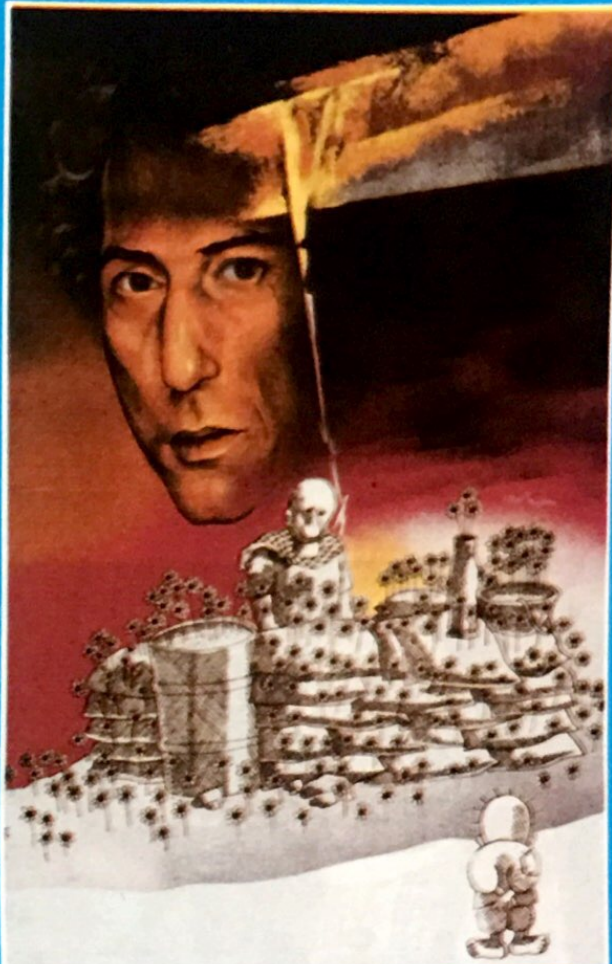


ناجي العلي على سفر وواقع الحال مقيم





أحد عشر عاماً على رحيل ناجي العلي



خليل جندراوي

مازال حنظلة يشاغب..

أحد عشر عاماً تمر وناجي مازال يزداد حضوراً وتألقاً.. بلوحاته التي يندر أن يمر يوم دون أن نجد بعضاً منها في جريدة أو مجلة.. بحنظلة الذي مازال يجوب شوارع المخيم قلاداتٍ يحملها الشباب على صدورهم مع خريطة الوطن المسبي..

وأفكر.. ما اللغز في هذا الخلود؟ وهل من سر لهذه القدرة العظيمة على التجدد؟.. هل هي العفوية الطفولية التي رفض ناجي بإصرار أن يغادرها، متحصناً فيها من ألاعيب «الكبار»؟ هل هي البساطة وتسمية الأمور بمسمياتها.. الأبيض أبيض والأسود أسود ولا وسط بينهما.. وفلسطين لاتقبل القسمة أبداً؟ هل هي شفافية الروح وطلاقتها التي مكنته من الرؤية الواضحة والحدس بالمستقبل رغم رداءة الطقس السياسي وضبابية المرحلة؟

مات ناجي.. لم يمت ناجي...

أحياناً كثيرة أطلق العنان للخيال وأتساءل.. ماذا لو لم يُقتل ناجي العلي في صيف ١٩٨٧؟ ماذا كان سيفعل لو رأى الأحداث الكبيرة التي عصفت بنا بعد رحيله؟ ماذا لو عاش الإنتفاضة التي طالما بشّر بها وهي تتفجر بعد أشهر قليلة من غيابه؟ ماذا كان سيفعل وهو يرى كيف يتبعثر كل هذا الغضب العظيم بسبب قيادة سياسية بائسة اعتادت الهزائم وأدمنت تضييع التضحيات بحجة استثمارها؟ ماذا لو أبصر جبل البطولة وهو يتمخض عن حصاد سياسي هزيل اسمه أوسلو..؟ ماذا لو عاش ناجي أكثر ليرى حرب الخليج وانقسام أمته إلى شيعٍ وطوائف تعبث بها الدول الكبرى والمتوسطة بل الصغرى أيضاً؟ هل كان سيتحمل منظر شعوب عربية تختنق تحت الحصار ويفتك بها الجوع والمرض؟ ماذا لو ... ماذا لو..؟

أعتقد أن الإجابات هنا محدودة للغاية رغم كثرة الأسئلة...

لو عاش ناجي أكثر لكان عرضةً للإغتيال اكثر من قبل بألف ألف مرة.. فالرصاص الذي كان يتربص به في أيام كان بها هامش من نور، ما كان ليتركه يشعل شموعه في الليل الدامس الذي بدأ يخيم على المنطقة.. ناجي استشعر هذه الحقيقة أكثر من مرة وفي أكثر من لوحة.. لعل أكثرها تعبيراً وسخرية ذلك الرسم الذي تمنى فيه بحرقة: «لو كان صلاح الدين حياً».. لم يمهله حنظلة ليتابع أحلامه بل أجابه فوراً: «كانوا اغتالوه..».

وحتى لو فرضنا أن ناجي بشكل أو بآخر نجا من الإغتيال رغم أن هذا مستبعد جداً ليس فقط لأنه حدث فعلاً، بل لأنه كان الوسيلة الوحيدة لإسكات هذا الصوت المشاغب. في كل الأحوال لا أظن أن أحداً على امتداد الوطن العربي كان سيجرؤ على اعتقال ناجي.. تصوروا هذا المنظر السوريالي.. حنظلة ضمير الشعب الفلسطيني والأمةالعربية يقبع في السجن.؟ الإحتمال الوحيد الباقي أن يموت ناجي من نفسه.. أن ينفجر قلبه أو دماغه.. أن يقتله الحزن والقهر.. أو على الأقل يشلّاه ولانظن أبداً أن والد حنظلة كان سيقبل هذه النهاية السخيفة.

مات ناجي.. لم يمت...

ناجي مازال معنا، عاقداً يديه خلف ظهره، يصم آذاننا بصمته المدوي..